

# فقه النفوس وتركيتها

في ضوء القرآن والسنة

- كيف نحقق التقوى في نفوسنا
- احذر خصائص نفوس المنافقين
- كيف تهلك نفسك مستقيماً
- أحوال النفوس عند المعصية وعند التوبة
- تربية النفوس ومحاسبة النفس

جمال ماضي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

دار الملائكة

من مرفوعات

مثنى النعيمي

أسكنه الله ووالديه الفروع والأعلى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## إهداء عام إلى الشباب المسلم

أيها الشباب المسلم :

إن الأمة في عتقك ديناً ، فساد هذا الدين ، من دمك  
الطاهر ووقتك الغالي ، وروحك الكريمة ، وليكن حياتك  
ملبئة بالعمل ، محفوظة بالنضال ، مزودة بحماسة بجلال  
الأعمال ، وليكن شعارنا دائماً :

بنيت بعزتي صرح المعالي

وسوف أسير في ركب الرجال

أقدم في سبيل الخلد نفسي

وأرضي عن حبيبت دمي ومالي

**فقه النفوس وتزكيتها**  
في ضوء القرآن والسنة

كافة حقوق الطبع محفوظة  
الطبعة الأولى  
١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

طبعة مزيّدة ومنقّحة

رقم الإيداع القانوني  
٨٣ - ٤٦٦٦

دار النسخ للطبع والنشر والتوزيع  
٢ شارع منشأ - محرم بك - الإسكندرية  
تليفون : ٣٩٠١٩١٤ - فاكس : ٥٩٠١٦٩٥

## إهداء خاص إلى ... صلاح جديد

يا صلاح العبد ...

يا من تعد لقدرك

النهض فقد حان وقتك ...

أما تسمع صوت المقدمات ينادى الأمة الإسلامية :

هائس صلاح الدين

لأبنة فـ

وجدى عطين

أرثية حطينا

هيا الله لنا ولك الخير ووقتنا إلى السداد.



## مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده لا شريك له ...

والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم .

وبعد .

في ليلة يفرق فيها كل أمر حكيم ، اتصلت السماء بالأرض فنزل جبريل الأمين على قلب محمد ﷺ ، بالكتاب الرباني والقرآن العظيم ، والهدى القيم . وظل على مر أعوام احتفال سنوي يقام بأمر من رب العزة تبارك وتعالى في هذه الليلة التي هي خير من ألف شهر .

وذلك لقيمة القرآن الكريم ، فما أحوجتنا أن ننظر في القرآن وأن نتعرف على ما به من كنوز ... ففيه أنوار ربانية لا يعلمها إلا من تدونها .

وقد حوى القرآن حباة حافلة بالحركة والحياة لأنواع عديدة من النفوس البشرية ، عرضها الله عز وجل بإعجاز القرآن الباهر ، ويعلمه بأغوار النفس البشرية . ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ .

ثم جاءت السنة تفسر و السيرة توضح فإذا بنفوس الناس عارية أمام هذه الحقائق وهذه محاولة متواضعة لسأل الله فيها العون والتوفيق والسداد .

وهي عرض لقليل من كثير الكنوز التي في القرآن والسنة ، لبعض من النفوس البشرية ، ولا أقول قد استوفيت الموضوع من جميع جوانبه ولكن حسبي أن طرقت الموضوع من أحداث السيرة الناطقة .

وقد استفدت من كثير ممن تعرضوا لشرح هذا الجانب من أجلاء العلماء وفضلاء المجاهدين جزاءهم الله خير الجزاء .


فقممت بجمع وترتيب هذه الأنواع مضيئاً إليها أمثلة حية من القرآن والسنة بروح السير إلى الله والاهتداء إلى طريقته .

والله أسأل أن يجعل عملنا خالصاً لوجهه ، وأن ينفع به المسلمين .

وأخرون عروفاً أن الحمد لله رب العالمين ...

جمال ماضي

**أولاً : فقه النفوس**



بين يدي الكتاب  
وَحَقَقَاتٍ مَعَ النُّفُوسِ





## وقفنا مع النفوس

### الوقففة الأولى :

لهذا القرآن كنوز وأسرار ، فمن الغافلين بها ؟ ومن يستحقها ؟ ولئن منحها القرآن ؟

وكانى بالإجابة نقول : إن هذا القرآن لا يعطى كنوز ولا أسرار إلا لمن يستحقها ...

• وهم أصحاب العقول والأفهام الذين ينظرون إلى القرآن وإلى آياته ، فيحاولونها إلى تحقيق وتطبيق وتنفيذ ، فهم الآيات المتحركة ، ودلائل القدرة الحية ، و القرآن الذى يعيش بين الناس وفى الناس .

• وهم الذين ينظرون إلى النماذج البشرية الواقعية التى بينها رب العزة ، فيستلهمون منها الدروس ، ويعيشون بها سلوكاً نائضاً بالحياة والحركة والحيوية .

• وهم الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، والأبصار أعرض صور العمل ، وعند التطبيق يفيض عليهم القرآن بأنواره وبهائه وسحره .

### الوقففة الثانية :

هذه النفوس سواء كانت لأفراد أو جماعات هى نماذج متحركة واضحة مرتبطة أشد الارتباط بواقع أنفسنا ومجتمعنا ، بل وكل مجتمع يجيد الأخذ من القرآن والسنة والتعرف على كنوز الإسلام .

• فهى نماذج لنفوس أفراد أحاط بها حظ الشهوة ومناخ الدنيا وزينتها ، وحاصرهما الشيطان والهوى فخرجت من برائن هذا الحصار الرهيب ، إما صالحة قد اعتدت بفهمها السليم إلى الحق ، ورزقها الله اتباعه ، وإما عكس ذلك .

• ومن ثم فالناظر لها والدارس لأحوالها يخرج بالدرس ليقتردى بالمصالح منها فيتبعه ، ويطلبه ، وينقلب إلى نفسه يصلحها ، ويرى كذلك آية الله فى معالجة المعوج من هذه النفوس الملتوية والضعيفة .

• وآية الله واضحة وهو يعالج التواء هذه النفوس بالدواء الذى يقضى ثامناً على المرض ، ولم لا ؟... وهو سبحانه الذى خلقها ويعلم سرها ونحوها وقد ألهمها فجورها وتقواها... وهو الذى يعلم ما تخفيه وما تبطنه .. وهو أقرب إليها من حبل

﴿ لَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْغَيْبِ ﴾

ولذا فليتعمق إيماننا بدواء الله الذي يبحث العلة من جذورها ، ويخفى الداء فلا يكون له أثر ، ومن ثم يقوى أملنا في الله وثقتنا به تعالى وثقتنا في أنفسنا لحظات الضعف .

### الهفة الثالثة :

ثم إن هذه النفوس قد تعددت أنواعها في ضوء القرآن و السنة فترى المهدية والمطمئنة والمؤمنة والراشدة والعاقلة والواعية والسخية والمتأصلة والمجاهدة ، والأخرى الملتوية والمنحرفة والغاسدة والشائقة والكافرة والتخاذلة والشحيحة .

• كل هذه الأنواع لتكون بمثابة مرآة للناظر فيرى أي نوع من هذه الأنواع يجد نفسه ؟ وهذه نعمة بل آية من آيات الله ، لتعرف على أنفسنا وننقى المعصية ونتمكن من الطاعة ، ونحفظي بالطمأنينة والسكن .

• وكذلك تسبح للناظر لها الإجابة الأبدية الخالدة على السؤال المتكرر : كيف يكون الانتصار ؟ .

فهذا رسول الله ﷺ بقوله موكب الحق وقتة المصالح المؤمنة الصادقة إلى أن يأتيه التمكين والانتصار ، ولكن بعد إحدى وعشرين عاماً من الإيذاء والتعذيب والضي والتشريد والهجرة والجهاد ، ثلاثة عشر عاماً في مكة ، وقد أحاطت به الأخطار وأحاط بها ، وثمانية أعوام في المدينة بين مشاق وصعاب حتى كان يوم الفتح يوم أن دخل الناس في دين الله أفواجاً ... فبعد أن شن الرسول ﷺ بموكب الحق الصخور والأشواك بصلابة وثبات وإيمان ، كان الدرس « الفقة الكاملة بأن العاقبة للمتقين » .  
و النصر و التمكين رهين بوجود التقوى التي ينهار أمامها الباطل ، فبني جنابات مكة حمل الهواء سرور أصوات النبي ﷺ وهو يردد : ﴿ وَقُلْ بَاءَ الْحَقِّ وَزَهْقُ الْبَاطِلِ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً ﴾ الإسراء / ٨١ .

وثمة انتصار آخر حيثما تنكشف حقائق النفوس أمام هذه المرآة التي حوت أنواع النفوس كما عرضها الله ... ذلك الانتصار على الشيطان وركبه وحزبه ، فمن خلال هذه النماذج ترى كيف خرجت من معركتها مع الشيطان والهوى قوة صلبة ، فهيئات لكيدة أن يتمكن منهم ، فليس له عليهم من سلطان .

﴿ إِنْ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ... ﴾ الحجر / ٤٢ .

فانقلبوا للإصلاح سواء كان في واقع أنفسهم أو في واقع عصرهم ، فتركوا الآثار

نعم ذلك المتكبر والانتصار .. للمؤمنين ، الذين يراقبون ربهم ، ويخشونه  
 بالمعيب ، ويظهرون أنفسهم من الآثام والدنوب ، فهم أهل الأجر .. القاترون .  
**الواقعة الزامية :**

وحينما تأمل حقيقة هذه النفوس فجمع بهذه الحقيقة الأدبية وهذا إنذار خطير للتأمل ، فهما نطاول عليها العمر ، وطال الزمن هي كما هي لم تختلف .  
هذا فرعون وذاك قارون وهامان وأبو جهل وأمة زعماء الكفر وابن سلول وغيرها كثير . . . مثل ناطق لهذه الحقيقة .

كيف ذلك و الفرقان يهدي قلبي هي احسن

■ إن القرآن يهدي من اهتدى به ونفعه وحقق تطبيقه.

■ إذ القرآن يهدي من ارتبط به مصيراً ولقدوا وهدوا

■ إن القرآن يهدي من استمع دافعاً إلى الله، واستشاراً في كل صغيرة وكبيرة.



## \*\* والكرة :

هيا - أيتها القاريء الكريم - في جولة مع النفوس في ضوء القرآن والسنة ، عما  
بعد هذه الوثائق أن تبدأ الجولة ، ومعها الزاد والمعالم والوصفات التي تميز الطريق ،  
فنسير على بنية وولوج .

نسأل الله تعالى أن يهبنا نفوساً طيبة مطمئنة ، تعيش مع الوحي .. اللهم اهد  
نفوسنا تقواها .. زكها أنت خير من زكاها .. أنت وليها ومولاها ..  
وأجهد عبادنا أن الحمد لله رب العالمين ..

\*\*\*

## المنفوق

هذه النفوس العاقلة المتفتحة ، وصفها الله في كتابه قائلاً :

﴿ أَلَمْ يَكُنْ لَكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴾

الَّذِينَ يُؤْتُونَ بِالْقَلْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ

وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ

وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أَمْرٌ مِنْ لَدُنْكَ

وَمَا آخِرَةٌ هُمْ يَوْفُونَ

أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿ ١٦ - ٢٥ ﴾ .

فهذا المنفوق الطاهر لأهل العربية أن يأتوا بمثله كان هذا الكتاب الروائي العظيم الشأن ، فهو حق لا لس فيه ولا ياطل ولا يغموض ، ثم أنه صدق لا كذب فيه ، فهو كالقيث من السماء والنفوس هي الأرض التي تستقبل القيث ، فتنبث وتخرج ثمارها الطيبة ، تلحم النفوس الصالحة النقية ، فما هي ؟

\* هي نفوس تفضل الحق وتشرب بالهداية وتؤمن بكل ما جاء في القرآن فهي قرآنية ، صعبها الله على عبده ، سماها المثقين ، وبين صفاتهم الخمس ثم أصدر أمراً إلهياً وحكماً ربانياً بأنهم : ﴿ ... هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ .

فيا بشرا من نفوس ويا بشرى أصحابها بحكم الله فيهم ، وما يتظرهم يوم الدين .

\* وهذه صفاتهم الخمس ما هي إلا أركان يتكون في النهاية منها هيكل متكامل لهذه النفوس النقية الطاهرة .

لحيط بها الصمائم وتكافح الهوى والشيطان والدنيا وزينتها وتخرج منتصرة بالحق ، يقول تعالى :

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ الْهَوَىٰ (١) فَإِنَّ الْخَصْلَ هِيَ الْهَوَىٰ (٢) ﴾

النازعات ( ٤٠ - ٤١ ) .

وكانى يسمو بن الخطاب أمير المؤمنين وهو يسأل أبي بن كعب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قائلاً : ما التقوى ؟

فأجابته أين : أما سلكك طريقاً ذا شوك ؟

قال عمر : بلى

قال أين : قسا حملت ؟

قال عمر : شمرت ، واجتهدت .

قال أين : هذلك التقوى .

فهذا طريق الايمان تلت في جنباته المنوب والمجاهد والشهوات كما تبت  
الأشواك في الطريق وكما ترفع ثوبك تفسى الأشواك فجاهد نفسك اتقاء المنوب و  
الآثام . فراقبوا إلى صفاتهم ليكون منهم .

ويمكننا أن نجعل هذا النوع في الآيات الكريمة في ثلاث صفات :

**أولاً : البصيرة**

في الايمان بالغيب واليقين بالآخرة

**ثانياً : الطاعة**

في إقامة الصلاة والجمود .

**ثالثاً : السماحة**

في الايمان بالقرآن وجميع الرسالات وذلك بالخلق الحسن والحب الصادق .

**ثوباً : البصيرة**

والبصيرة تعني الايمان العميق والتسليم للروح ، والانقياد للحق ، وبها يتميز  
أهل التقوى عن غيرهم ، فهم ينتقلون من ديار الناس و يعيشون في دار غير الدار ،  
إيماناً بالغيب وعشية لربهم ، ويقيناً بالآخرة .

**١ - الإيمان بالغيب**

« والإيمان بالغيب أن تؤمن بالله سبحانه فلا يتأثر إيمانك بشبهة تعارض ما  
وصف الله به نفسه ووصفه به تبه **تَبَهَّ** ، فتؤمن بالله في حليائه بصفاته وهو سبحانه  
يصف الكون في دقة وحكمة ولا تغف بالبصر المحدود . ترى الله في كل  
شيء تراه في الليل إذا يغشى ، وفي النهار وفي الشمس والقمر والنجم ، تراه في  
أحداث الزمن ، تراه في السماء المرفوعة والأرض المسوطة ، ... فتارة الله أحسن  
المخالفين » المؤمنون / ١٤ .

ويقول الإمام ابن القيم في هذا المعنى :

« وهو كما وصف نفسه في كتابه وفوق ما يصنعه به خلقه ، حتى لا يموت ، فيوم لا  
ينام ، عليم لا يخفى عليه مثقال ذرة في السموات والأرض ، بصير يرى ديب النملة

السوداء ، على الصخرة الصماء في الليلة الطلوع ، مسمع يسمع جميع الأصوات ، باختلاف اللغات ، على تفاوت الحاجات ، تمت كلماته صدقاً وعدلاً ، وجلت صفاته أن تقاس بصفات خلقه شياً ومثلاً ، وتماثل ذاته أن تشبه شيئاً من النوات أصلاً ، له الخلق والأمر وله الحمة والفضل ، وله الملك والحيد ، أول ليس قبله شيء ، آخر ليس بعده شيء ظاهر ليس فوقه شيء ، باطن ليس دونه شيء .

كل شيء من مخلوقاته ذال عليه ، ومرشد لمن رآه بعين اليقظة إليه ، خلق الخلق للقيام توسلته وعبادته ، وأسبغ عليهم نعمه ليرسلوا يشكروها إلى زيادة كرامته ، وعظم الكتاب الذي كتبه : أن رحمته تغلب غضبه . ( مدارج السالكين الجزء الأول ص ١٢٤ ) .

وهذا الإيمان بالغيب يعني الإيمان بالقول والعمل ، والاعتقاد حتى يصل صاحبه إلى تمام الخشية من ربه ، والخشية أقصى من الخوف ، فإله عز وجل جعلها للعلماء به في كتابه فقال : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ... ﴾ ( غافر : ٢٨ ) . وذلك لأنه يخوف مفروون بمعرفة وعلم وصيرة ، يقول ﷺ : ﴿ إني أنفakم لله ، وأشدكم له خشية ﴾ .

وجملة الخشية كما قال شيخ الإسلام ( ابن تيمية ) : ما حجزك عن معارم الله ( المدارج الجزء الأول ص ٥١٤ ) .

ويقال من أجبر كبير ومفسرة لهؤلاء الذين يؤمنون بالغيب ويحققون الخشية ، يقول تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَحْكُمُونَ فِيهِم بِالْغَيْبِ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ ( سورة المائدة آية ١٢ ) .

• والإيمان بالغيب أن تؤمن برسول الله ﷺ وأنت لم تره ، وتصدقه وأنت لم تشاهده ، وتؤمن بما قال وأنت لم تسمعه منه ﷺ ، وتتحدى مواقفه ولم تشاهدها ، ونتبعه حياً ولم نسمعه ، يروى لنا أبو عبيدة بن الجراح :

« تخطينا مع رسول الله يوماً فسأله : يا رسول الله هل أحد خير منا ؟ أسلمنا معك وجاهدنا معك . قال : نعم قوم من يمدكم يؤمنون بي ولم يروني . »

أولئك الذين يصدقونه ويتبعونه ويؤمنون به حياً وصدقاً واقتداءً وهم لم يروه . أولئك خير من جيل أسلم مع النبي ﷺ وجاهد معه ، أي شرف لهم وأى منزلة هم عليها ، يؤمنون برسول الله ﷺ بالغيب ولم يروه ...

وبالإيمان بالله وبرسوله ﷺ بالغيب تتحقق بوادر التقوى في النفس ، فيعيش صاحبها مع الأمر عاملاً ومع النهي هارياً .

يقول ﷺ : « لن يبلغ أحدكم أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حقراً عما به بأس ».

ولن يأتي ذلك إلا بالإيمان بالغيب ، خشية لله و اقتداء برسوله ﷺ .

## ٢ - اليقين بالأخرة

يقينا بالأخرة يتقلب بين مراتب ثلاث..

الأولى : « حلم اليقين » يأتي عن الخبر ،

والثانية : « عين اليقين » حين تتجلى حقيقة المخبر عنه للقلب حتى يصير العلم به عين اليقين.

والثالثة : حق اليقين وذلك حين يباشره ويلاقيه فعلمنا بالأخرة وبالجنة والنار الآن علم يقين ، فلما أرادت الجنة للمتقين في الموقف ، وبرزت المحجيم للمؤمنين ، وشاهدوها حياتاً ، كان ذلك عين اليقين ، يقول تعالى : ﴿ تَرَوْنَهَا هِيَ الَّتِي نَعْتِبُهَا مِنَ النَّارِ ﴾ (التكاثر ٦-٧) ، فلما دخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار قل ذلك حق اليقين .

وهذا اليقين بالأخرة هو المحرك نحو الجهاد والعمل ، فأول من استشهد في سبيل الله في بدر دلهه اليقين بالأخرة إلى حسن صنيع وجعل موقفه لن ينسأ التاريخ إلى يوم الدين ، فقد خرج النبي ﷺ يهين أصحابه للقتال ، وألقى عليهم قبيل المعركة كلمة قال فيها : « والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل صابر محتسباً ، مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة ».

وهما ظهر نموذج من اليقين بالأخرة فقد كان حمير من الحمام واقفاً في الصف ، وفي يده غمرات يريد أكلهن ، ولكنه بعد أن سمع كلمة الرسول ﷺ يقذف بهذه التمرات قائلاً : « يخ يخ ، لما يبي وبين الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء » ثم أخذ سيفه وغاص في المشركين يقاتل طالباً الجنة حتى قُتل.

وهكذا بالإيمان بالله ورسوله واليقين بالأخرة ، يتأتى للنفس البصيرة ، فترى غير ما يرى الناس ، ويعيش فيما لا يعيش الناس ، ويفتح أمامها طريق التقوى ، وتلك صفات النفوس النقية.

ومع الصلابة الثانية وهي الطاعة.

## ثانياً : الطاعة

وفي هذه الآيات نجد أن الطاعة عند هذه النفوس قد تجلت في إقامتهم للصلاة وتحفيظهم للجمعة وذلك بالاتفاق في سبيل الله .



وإقامتها تعنى أدائها في أوقاتها بتمام ركوعها وسجودها وسنتها وحرائطها ،  
وكمال الخشوع والوجل وحضور القلب ، وبذلك توجه هذه النفوس لله وحده ، فلا  
باب إلى الله إلا الصلاة ، فيصلون بربهم على مدار الليل والنهار .

يقول صاحب الطلال ( الجزء الأول ص ٤٠ ) : « والقلب الذي يسجد لله حقاً  
ويتصل به على مدار الليل والنهار ، يستشعر أنه موصول للسبب بواجب الرجوع ،  
ويجد لحياته غاية أعلى من أن تستغرق في الأرض وحاجيات الأرض ، ويحس أنه  
أقوى من المخاليق لأنه موصول بالمخالق المخاليق » .

« هذه النفوس ملء صلاتها الخشوع قال ابن عباس رضي الله عنهما « ليس لك  
من صلاتك إلا ما عقلت منها » ، وذلك لأن الصلاة هي هدية الرب إلينا وهديتنا إلى  
الرب ، يقول الإمام ابن القيم : « والله طيب لا يغفل إلا طيباً وليس من العمل الطيب :  
صلاة لا روح فيها » . ( المذبح ج ١ ص ٢٧ ) وروى أن أسد العباد كان إذا دخل  
بيته ، حسنت وسكت من على البيت ، من هيئته ، فإذا دخل في الصلاة تحمدوا  
وتكلموا ، لعلمهم أنه في عالم آخر لحال خشوعه .

« وكذلك يكون الاستعداد للصلاة بالخوف وحضور القلب ، فقد كان علي بن  
الحسن رضي الله عنهما إذا توضأ أصفر لونه فقبل له : ما هذا الذي يحدثك عند  
الوضوء ؟

فقال :

« أتدرون بين يدي من أقوم »

وعين الصلاة يكون مقبها بين خوف ورجاء يخشى من تقصيره يحرم من الأجر  
ويرجو لصلاته الثواب والأجر .

« ومن ثم يكون في دنيا غير دنيا الناس ، فإذا سمع النداء تذكر نداء القيامة ،  
وإذا ستر العورة يتذكر عورات باطنه وسنن الله لها ، وعند القبلة يتذكر أن صرف  
الوجه إلى الله يجلب صرف القلب إليه ، وعند التكبير لا يكذب اللسان فلا يوجد  
في قلبه شيء أكبر من الله ثم يستشعر حين السجود بأن الفرع لا بد أن يعود إلى أصله  
وهو فرع وأصله التراب ، ممسه الأرض يتذكر الموت وأنه لا محالة إلى تراب ،  
فيصلي صلاة مودع راحل ، فيها الخشوع والعظمة والوجل والخشية .

وقد قرأ أحدكم في صلاته : « إذا نزل في التأخوذ المذبح / ٨ فخرهياً .

وبهذه الصلاة الحاشية كان يختار ولادة الأمور وقادة المسلمين ، ولم يعرف

فقد كان حمر يخافو القادة لصلاتهم فالنعمان بن مقرن قائد معركة نهاوند المشهورة لم يكن حمر يعرفه حين دخل للمسجد رأى رجلاً يصلي صلاة خاشعة ، فامتلا به إعجاباً فسأل عمر : من هذا ؟ قيل : هذا النعمان بن مقرن . فقال : على به ... فلما جاءه

فقال له عمر : قد انتدبتك لأمر عظيم فقال له الرجل : يا أمير المؤمنين إن كنت تريدني لجمع الصدقات فإني لا أصالح لذلك ، وإن كنت تريدني للجهاد والاستشهاد في سبيل الله فإني أصالح لذلك . فقال عمر : بل أردتلك للاستشهاد .

ثم ولأه إمارة الجيش ... فماتاً صريحاً ؟ لقد كانت أول أعماله أن طلب من الجنود أن يتوضأوا ... ليصلوا قبل المعركة وبعد الصلاة أمرهم برفع الأيدي قائلاً لهم : أيها الناس إني داخ قأمنا . فماتاً دعا النعمان ؟ أودع بالنصر في المعركة حتى لا يخرج موقفاً أمام عمر ؟ كلا ... ما كان لنفس تقيم الصلاة متصلة بربها أن تراعى المخلوق وهي مع الخالق ، بل قال : اللهم ارزق النعمان استشهاداً في سبيلك يفتح به على المسلمين .

والنعمان الجيشان ويمر عليه : معقل بن يسار ، ويسأله النعمان وهو يتزلف الدماء ويحتضر :

هل تم النصر ؟ قال معقل : نعم فقال : الحمد لله ... ثم غاضت روحه . ومن ثم كانت آخر كلمات الرسول ﷺ في الدنيا قبل رحيله : الصلاة ... الصلاة .

## ٢- الجود :

وليس الجود بالمال فحسب بل الجود بالوقت في سبيل الله مواساة وإغاثة ودعوة ، والجود في سبيل الله نشر آ لدين الله ، والجود بالقرآن في سبيل الله تعليم الناس ، وهكذا تنقلب هذه النفوس مع الجود إلى أن تجود بأعلى ما تملك وهي نفوسها التي بين جنبيها ، وبالأرواح والمهج تقدمها إلى خالقها استشهاداً في سبيله ، وتذكر دائماً أن رسول الله ﷺ كان أجود من الريح المرسلة وكان أجود الناس . فهذه النفوس تنفق من مال الله الذي رزقها ، ومن هذا الاعتراف بأن الرزق هو الله ، وأن المال مال الله ، تنطلق أبواب البر والجود .

ففي صورة الآية يقول تعالى : ﴿ ... وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ البقرة / ٣ .  
فقدّم الجار والمجرور لتأكيد هذه المعنى وجاءت ﴿ ما ﴾ دليل رحمة الله بهم فهو  
بظلالهم ببعض ما رزقهم ويحجزه عما رزقهم ، وذلك ليحقق احسن المم بمجمل عطاء  
رزقهم .

فيالها من بلاهة من هؤلاء المساكين الذين إذا رزقهم الله شيئاً من ذلك غنوا إلى  
لهم حزمأ من ملك الله .. أسى هؤلاء أن الحياة ما هي إلا أرحام تدفع وأرطى تبلع ،  
والناجى من حق عبوديته لله ، والحاسر من شره عن طريق الطاعة .

### ثالثاً، السجادة

ألا يليق بموكب المتقين ، وتلكم النفوس القائدة أن تنعم بهذه الصفة الحميدة ،  
حيث لا تعصب ذعير ، بل اعلمتان إلى رعاية الله للبشرية في نواحي الرسل  
والرسالات بلين واحد ، ولذلك لمأنهم يفضيرون عندما ينال من نبي كما يفضيرون  
عندما ينال من محمد ﷺ . يأسون بجميع الرسل ، ويؤمنون بجميع الأديان ،  
يقول ﷺ : « إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي ، كرجل يني داراً وأكملها وأجملها إلا  
موضع يني ، فجعل الناس يظفون بها ويقولون : ما أجملها وما أحسنها ، فلا وضع  
البيئة ... فانا البيئة وأنا عاتم الأنبياء » (رواه البخاري) .

### ويعبر

وبعد هذه الصفات للنفوس النقية يطيب لنا أن نسمع ماذا قال عنهم صاحب  
الظلال .

يقول سيد قطب :

« وهذه كانت صورة الجماعة المسلمة التي قامت في المدينة يوم ذاك ، مؤلفة من  
السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ، ومن ثم صنع الله بهذه الجماعة أشياء  
عظيمة في الأرض ، وفي حياة البشر جميعاً ... »

ومن ثم كان هذا التقرير :

﴿ أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ﴾ البقرة / ٥ .

« وكذلك اعتدوا وكذلك أفلحوا ، والطريق للهدى و الفلاح هو هذا الطريق  
المرسوم » (الظلال ج ١ ص ٤١) .

نعم هذه النفوس مستمرة في الحياة وتكرر في عصور مختلفة وأماكن مختلفة  
كذلك ، وليست بدعاً في أن تتحقق ، وما تحققت على عهد رسول الله ﷺ وانتهت ،

بل هي مستمرة مكرورة وقد تكون بهذا اليوم موافقها وموكبها ، وسر ذلك من  
الآيات أن الله تعالى استعمل الأعمال المضارعة :  
﴿ يَوْمُونَ - يَوْمُونَ - يَوْمُونَ - يَوْمُونَ ﴾

وذلك لأن الفعل المضارع يفيد الاستمرار والتكرار ، فهذا الركب الطيب من  
التعوس الثنية ركب متجدد مستمر كلما مضى ركب تبعه ركب ، إلى أن يرب الله  
الأرض ومن عليها ، فطوبى لمن لحق بهم ، ويا بشراء من سار على دربهم ، واهتدى  
بخطاهم ، واتصف بصفاتهم ، وقال لنفسه .

يا نفس ويحك طال ما

أبصرت موعظة وما

نقم منك فباخشي وانتهى

وعليك ما تشقوى كما

فعل الأنام الصالحون

ويأمرى فالمرما

ملم المبادر واحذرى

يا نفس من موقد فما

خادم الشقي يثلها

★★★

## الكافرون

هي نفوس كافرة إلى يوم الدين، وفي كل أرض، وفي كل حين - على السيف - تماماً من القوس النقية - يقودها الباطل تنعصب له ، وذلك لأنها محدودة الأفق قد تبلد حسنها وتعمدت مشاهرها... موجودة في كل عصر ، في كل جيل ، ومستجرة على مر الأعوام ، إن دعاها المصلحون إلى الدين قالوا :

﴿ ... وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهُتَدُونَ ﴾ ( الزخرف : ٢٢ ) .. شتان بين وصفهم لأنفسهم بأنهم مهتدون وبين وصف الله للمتقين بأنهم ﴿ على هدى من ربهم ﴾ ... يقول رب العزة عنهم :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ عزم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ ( البقرة : ٦٤ ) .

فالمراد جميعها أماهم منبهة لا مدى من الله ، ولا وشاح تربطهم بحال الوجود ، والغيب والخافس ( الظلال من ٦٤ ) ، بل هي مقطوعة كلها ، فقد عزم الله عليها ، غيبت الحقائق أن تصل إليها ، وهيئات لصدى الإيمان أن يصل إليها ، فهي نفوس مظلمة عماء غليظة متحجرة القلب ميتة الموجدان فهل يمكنها بعد ذلك كله التغير ؟

أنظر إلى كلمة الله ﴿ ختم ﴾ وما فيها من إغلاق وجمود للقلب والسمع وإلى كلمة الله ﴿ غشاوة ﴾ وما فيها من ظلمة ووحشة وظلم.

فالآية تصور صورة صلبة ، مظلمة جامدة لهذا النوع :

وجدان أصم لا يلقى لنا الحق .

عقول جامدة لا تفتح لكلمة الهدى .

ولذلك كانت النهاية الطبيعية لكفرهم :

﴿ ... وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ جزاء تمصيبهم وعنادهم .

بدأ الله الآية مؤكداً على كفر هؤلاء ، وأنهم لا يؤمنون بل يتساوى عندهم الإنذار أو عدم الإنذار .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾  
 • وسأل سائل لماذا يؤكد الله على ذلك ؟ .. اليس أمامهم بصر أمل للهداية ؟  
 يعمل الله سبحانه وتعالى كسرهم بقوله : ﴿ خُذِ الْعِلْمَ ﴾ وهي استحالة أن يتمثلوا  
 إلى مؤمنين وتتميز أحوالهم ؟ وهالك أمثلة :

## فرعون

• هذا فرعون .. علا ما علا في الأرض ، وليست القضية نفس فرعون محسوب  
 بل هي كل فرعون في أي زمان ومكان.  
 • لا رأى إلا للمستبد ولا حكم إلا للهيوى ، وويل لمن محدثه نفسه أن يرى رأياً  
 آخر .

.. ذلك هو منطق الفراغة ولعل منطق كل فرعون - بل مذهب في العنصرية و  
 العنوة يمثل في هذه الجملة القصيرة التي أوردتها القرآن على لسانه :

﴿ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى ﴾

إنه يحدد شعبه من كل موهبة أو قدرة ... بقوده برأيه ويحكمه بمنطقه ويسوده  
 بفكره ، فهو كل شيء و الناس من حوله لا شيء 1 .. فمن هو ؟ أليس بشراً ؟ فلماذا  
 تمهين بإرادة من حوله إلى هذا الحد ، إن الاستسلام لهذه القوى الشريرة هو الذي  
 يسمح لها أن تطغى ، ولو وجدت كايحاً من حماسة الحق ما فعلت لمثلها ، جعلت  
 صعلوكاً كفرعون يتصخ بالتعريف و العلو فيقول لمن حوله :

﴿ أَنَا رَبُّكُمْ فَأَعْطِيكُمْ ﴾

ويخض بصوغ لهم بالفردية المتسلطة ، زاعماً أن هذا سبيل الرضا ...

## أبو جهل

• ولحقها هذه النفوس من جديد في أبي جهل بأفعال فرعون ومواقفه إلى أن يقتل  
 في بئر ويبنما عيد الله بن مسعود يبحث مع الباحثين ، إذ به بجلة مجتدلاً ، وبه  
 آخر رمق ، فاقترب منه ، وبعد أن وضع رجله على عنقه ليحتر رأسه قال له :

هل أخزأك الله ، يا عدو الله ؟؟

فقال أبو جهل : وما أخزاني ، أأعصد من رجل قتلتموه ؟؟ أي : وهل أعظم من

ثم قال لاين مسعود : أخبرني لمن الدائرة اليوم ؟  
فقال ابن مسعود : لله ورسوله وللمؤمنين .  
فقال أبو جهل : لاين مسعود .. وكان باركاً على صدره ليجتزأ منه - لقد ارتقيت مرتفعاً صعباً يا وويى الغنم ، بلغ محمداً أنى عدوه اللئيم ..  
وبعد أن وضع ابن مسعود رأس الكفر بين يدي رسول الله ﷺ قال ﷺ : الحمد لله الذي أعزك يا عدو الله ، هذا غرعون هذه الأمة .  
« وهكذا نفس الحقيقة الأبدية : ركب الإيمان بحضى على هدى من ربه ، حمالة حق لا ترميهم قوى الأرض ، وأولئك هم المفلحون ، نوافذ مفتحة للورود والصلاح ونفوس طيبة نقية نقية ، يقابل ذلك كله نفوس أغلق الله نوافذها عن النور طواغيت يواجهون الحق ، ولكن الأرض باقية قد حوت ترابهم وشهدت مصارعهم .  
وهكذا طائفة مؤمنة ولمرعون ، فلكل أمة غرعون ، ولكل أمة طائفة حق ( إلى يوم الدين ) .

يقول صاحب الظلال :

( النفس التي تكفر بالله في الأرض تظل تنكس وترتكس في كل يوم تعيشه ، حتى تنتهي إلى صورة بشعة سيخة شنيعة ، صورة منكرة مهيبة تكبر ، صورة لا يماثلها شيء في هذا الكون في بشاعتها ومسختها وشذاعتها .  
فكل شيء روحه مؤمنة ، وكل شيء يمسح بمحمد وبه ، وكل شيء فيه هذا الخير ، وفيه هذه الوشيجة التي تشده إلى محور الوجود .. ما عدا هذه النفوس الشاردة المغلقة من أواصر الوجود إنها تنتهي إلى جهنم المنقطة المتلحظة .. الحارقة المهددة لكل معنى ولكل حق ولكل كرامة ، بعد أن لم يعد لتلك النفوس معنى ولا حق ولا كرامة ) .

\*\*\*

## (المنافقون)

❖ وهي النفوس التي تتظاهر بشيء وتبطن لغيره ، وهذه النفوس لا هي مهيئة ولا كافرة .. فهي تمس مع شئ المواقب وتلس شارات الخداع .. الدنيا أكبر همها ومبلغ علمها ، لها نطلب وعليها نراني وتعاين .. تتصع أوداجها غصياً للدنيا .. وتفسدك ملء اشتدائها قروحاً بالدنيا .. وهي حريصة على شئ واحد ... وهو ألا تفار مصالحها .

❖ ومن ثم فهي أخطر النفوس على حياة المجتمع ، وذلك لأنها تشتهز الفرصة المناسبة لتعير من وجودها ، كالجراثيم الخطيئة لا تهاجم الجسم إلا في حال ضعفه ... وطالما كان هناك مناعة فهي خطراً .

❖ وهي في واقعها مغرورة مخدومة بنفسها ، وليس أغنى في الوجود كله من رجل يحمل ضد نفسه .

يقول صاحب القلالم ( الجزء الأول من ٤٢ ) :

( لقد كانت هذه صورة واقعة في المدينة ، ولكننا حين نتجاوز نطاق الزمان والمكان غندما نودجاً مكروراً في أجيال البشرية جميعاً ، نجد هذا النوع من المنافقين من عليه الناس الذين لا يجدون في أنفسهم الشجاعة ليواجهوا الحق بالإنكار الصريح ، أو يجدون في أنفسهم الجراءة ليواجهوا الحق بالإنكار الصريح ) .

❖ لقد كان ظهور هذه النفوس في المدينة بعد حجرة الرسول ﷺ من مكة ، فقد كان أمر الشرك والمفسح أما النفاق فلبس ألبسة خداعة - لقد كانوا يتظاهرون بالإيمان - يصلون خلف النبي - وهم لا يتقون في صوم ولا صلاة ، يقول تعالى : ﴿ إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد أنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون ﴾ ( المنافقون : ٦ ) .

❖ ويقسمون الإيمان بالخلقة وكلها زور وبهتان . ولطالما كادوا للإسلام وديروا المزامرات ، ودخلوا المحروب مع الرسول ﷺ ثم يسمعون وقت الشدة مكرراً كيداً للإسلام ويتخللون بأعداء حلفقة :

﴿ ... يقولون إن ميثاقنا خورقة ... ﴾

ويرد القرآن : ﴿ ... وما هي بخورقة ... ﴾ .



ثم يفضح نواياهم: ﴿... إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَاقًا...﴾ .  
وصف الله هذه النفوس فأفاحس في وصفها وهي مكررة وموجودة في كل جبل  
وكل زمان ومكان .

يقول تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَيَالِئِهِمُ الْآخِرُ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (١٥)  
يُعَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يُعِدُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ (١٦)  
في قلوبهم غش . . .

فوادعهم الله عرضاً ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون﴾ (١٧)  
وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا

إنما نحن مُصْلِحُونَ﴾ (١٨) ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون﴾ (١٩)  
وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا

إنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون﴾ (٢٠)  
وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا . . .

وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون﴾ (٢١) الله يستهزئ بهم  
ويتعدىهم في شياطينهم مستهزئاً﴾ (٢٢)

أولئك الذين أشعروا الضلالة ما لهدى فما زينت تجارتهم وما كانوا مهتدين﴾ (٢٣) .

في الآيات بيان لعمل المنافقين ووصف كامل لخصائصهم وعرض لصفاتهم ،  
يشرح بهذه النفوس من حيز عهد رسول الله ﷺ إلى إحلافها في كل جبل وفي كل  
زمان .

ففيهم المخادعة ولذلك قذف الله في قلوبهم المرض وتوسى هذه الكلمة  
بتأصل العلة واستحالة الشفاء ، ﴿فَوَادِعَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ يؤكد اليأس من علاجهم  
وذلك لأنهم لم يأخذوا أنفسهم بالعلاج وإنما أهملوا أسباب الهداية وساروا في  
طريق الشيطان، ومن ثم استحقوا عدلاً من الله أن يكون لهم العذاب الأليم ،  
والمرض إذا وصل إلى القلب كان إنذاراً بالخطورة واستدعى ذلك عزل المريض بعيداً  
عن واقع الناس، وهذا ما كان يفعله ﷺ مع من أحلهم الله تعالى بأنه من المنافقين .

وهم دائماً يعودون إلى شياطينهم؛

أي رؤسائهم وقادتهم وفيه دليل على أن لهم قاعدة منظمة وتخطيط محيك  
وذلك لضرب الإسلام وتدميره ، وحينما نتأمل اللفظ القرآني ﴿خلوا إلى  
شياطينهم﴾ .

أنهم كانوا يجتمعون سرّاً مع قادتهم الذين هم أيدي الشيطان لأنهم يدبرون

ويكيلون السوء في الخفاء.

ويرى الإمام ابن كثير : أنه كانت لهم تحركات محكمة ونظام ملحوس فيقول :  
• معنى شياطينهم : سادتهم وكبرائهم ورؤسائهم من أحبار يهود ورووس  
المشركين .

وهكذا بهؤلاء يتكفل الشر ضد حماة الحق يخططون في الظلام ، ويمارسون  
عملهم في الخفاء ، في نظام دقيق .

• وهم كذلك لا إيمان لهم البتة ، وذلك لأنهم اشتروا الصلابة بالهدى ، أتروا  
الكفر على الإيمان ، فمع تظاهرهم بالإيمان من قول أو عمل أو فعل كانت قلوبهم قد  
انضمت في الكفر بل ورضت به .

## خصائص قرة النفوس

١- كاذبون :

يقول آستهم ما ليس في قلوبهم .. يتظاهرون بالإيمان ويطنون الكفر .. يدعون  
الإيمان بالله ورسوله وهم الكاذبون .. ويقسمون الإيمان على ذلك وهم الفاجرون  
يقول الله تعالى : ﴿ ... وَاللَّهُ يَكْفُرُ عَنْكَ لِرَسُولِهِ وَاللَّهُ يَشْهَدُ أَنَّ الْمُنَافِقِينَ كَاذِبُونَ ﴾  
اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله إنهم ساء ما كانوا يعملون ﴿ ذلك بأنهم آمنوا  
ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ﴾ .

٢- جماع الرأي :

فقد تصوروا الباطل حقاً ، فهم مخدوعون في رأيهم ، مغرورون في ذكائهم ،  
ليظنون أنهم الأذكيا ، وهم الأغيا ، يتوهمون أنهم سيخضعون الله والمؤمنين  
وهم ليسوا كذلك ﴿ يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم ﴾ فقتضيتهم  
خاسرة وعملهم ميتور ، وذلك لأن الله أهل أن قضية المؤمنين هي نصيبه ، وهم في  
حمايته ورعايته وكفقه ، فلما كانت المعركة مع الله فقد خسر هنالك المنافقون وخسر  
عملهم ..

٣- زعم الإصلاح :

وأي إصلاح لهم ؟ وهم المفسدون المخربون في الأرض فاعمالهم تقول : نحن  
نهدم ولا نبني ، نفسد ولا نزرع ، نخرب ولا نصلح ، وذلك لأن الله قد حججهم عن  
نوره فأنى للحقائق أن تظهر لهم ، فقد انقلبت عندهم الأوضاع .

ويرجع سبب ذلك إلى تكبرهم وعطرستهم التي تعبهم من الحق ، كما قيل لهم بكل الصدق : أموا إيماناً حقاً تبغون به وجه الله لا عرض الدنيا وزينتها ، قالوا : أنؤمن كما آمن السفهاء . فعندهم العيشة المختارة من أصحاب رسول الله ﷺ سفهاء ، وحتى لا ينس الأمر قال تعالى : ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ ﴾ ولكنهم مخدعون بأنفسهم فلم يفرقوا بين السادة والسفهاء ، وكان القرآن يؤكد على خطرهم وزيفهم في مسامع الزمن ، لتعلم البشرية حقيقة أنهم المفسدون ولكن لا يشعرون ، مفسدون ويجهلون أنهم مفسدون ، سفهاء ويجهلون أنهم سفهاء ، فاجبل في ذاته قبيح فكيف إذا كان مركباً ؟ . فهم يجهلون ويجهلون أنهم يجهلون ...

#### ٥- العمالة :

وصف قرأني لهذا النموذج البئيس وهو امتلاهم إلى قاهدة راسخة في الضلال والإفك تحرك ونقط وتقر وتدرج على الشر ، فإذا التقوا بالذين آمنوا قالوا : نحن مع مسيرتكم ، وعلى نهجكم ، ويرفعون آيات الإيمان وشعارات الإصلاح ، وإذا رجعوا إلى قادتهم في الشر والتأمر قالوا : نحن معكم وإنما نستعزي بمحمد وصحبه حين ندعى التبعية لهم .. ويسخرون من الفئة المؤمنة الصالحة .

لهم عملاء للشر وشهد على ذلك ما كان يربطهم باليهود والمشركين من تحالف قائم على الخفاء والسرية ، وما جمعهم جميعاً إلا الحقد الأسود على الإسلام والمسلمين .

#### ٦- مستكبرون :

الصد عن سبيل الله والاستكبار سمتان متلازمان في النفس المناغضة فهم يفعلون الفعلة ويقولون القولة فإذا عرفوا أنها بلغت رسول الله ﷺ جبنوا وتخاذلوا وراحوا يقسمون الإيمان فيتخلون عنها جنة .. فإذا قال لهم قائل :

﴿ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﴾ المنافقون / ٥ ... لو اراءه وسهم استكباراً ! وهم في أمن من مواجهته .. وإن كان هذا التصرف غالباً ما يأتي عن لهم مركز في قومهم ومقام ... ولكنهم في ذوات أنفسهم أضعف من المواجهة ، فهم يستكبرون ويصدون ويلوون رؤسهم ما داموا في أمن من المواجهة .. حتى إذا ووجهوا كان الجبن والتخاذل والإيمان الكاذبة !!

#### وهذه أمثلة قرآنية لهذه الصفة:

﴿ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِكُوا عَلَيَّ مِنْ عِندِ رَسُولِي اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَإِنَّ مِنْهُمْ

تشموات والأرض ولكنَّ الشَّاقيينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٢٧﴾ (المتفكرون : ٢٧) .

أليست هذه خطة الحصار و التحويم التي يتواصى بها غصوم الحق في كل زمان ومكان ... ذلك لأنهم يحسبون أن لقمة العيش هي كل شئ من الحياة كما هي في حشهم فيحاربون بها المؤمنين .. ناسين الحقيقة .. أن لله عزرائيل السموات والأرض .. ضمن الأرزاق للجميع .. وأن الذي يعطى أعداءه لا ينسى أوليائه ... قياتها من وسيلة غيبة لا يلجأ إليها إلا اللؤماء .

## نقولك منافقة

وبالتأمل نرى أن حيز هذه النفوس في القرآن والسنة قد استغرق الكثير من الآيات والمواقف ويفسر لنا ذلك صاحب الظلال قائلا : « على أن هذه الاطالة توحى بسخامة الدور الذي يمكن أن يقوم به المنافقون في كل وقت داخل الصف المسلم » ومدى الحاجة للكشف عن الاعيهم ودسهم بالتييم » .  
وهذه أمثلة لهذه النفوس التي هي مصدر قلق واضطراب وتعيب وإيذاء للجماعة المسلمة ، وكذلك مصدر تعويق لمسيرة الحق ...

« عبد الله بن أبي بن سلول » :

« صرعات تنه ، تلك التي انطلقت من الأنواء ، حينما اشتعل المسلمان عقب غزوة بنى المصطلق ، هنا يصرخ يا معشر المهاجرين ... وهذا يصرخ يا معشر الأنصار » ، لكنها كانت كقيلة بأن تخرج تن الباطن حين يخطب ابن أبي بن سلول قائلا : « أو قد فعلوها ؟ قد تافرونا وكاثرونا في بلادنا ، أما والله لنض رجعا إلى المدينة ليخرجن الأهر منها الأذل » .

« ويسمع ذلك زيد بن أرقم وكان حدثا صغير السن فيمشي به إلى رسول الله ﷺ وعنده عمر بن الخطاب الذي أشار بقتله ورفض الرسول ﷺ قائلا : فكيف ياعمر إذا تحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه ؟ ويأمر الرسول المسلمين بالسبر ليلهم ونهارهم ليشغل الناس عن حديث الأوس .

« وهكذا تتجلى حقيقة ما تحمله هذه النفوس الحبيثة ، فهو يعيش بين المسلمين » قريبا من رسول الله ﷺ تتجلى الآيات كل يوم أمام ناظره ، ولكن أنى للإيمان أن يهديه الله إياه لأن الله لم يكتب له هذه النعمة وهذه الرحمة .

« ويسمع ابنه عبد الله بن مسعود بما فعل أبوه ويطلب من رسول الله ﷺ إن كان

لا بد عاجلاً أن يأمره بقتل أبيه.. وهو لا بد عظيم.. ويأتيه برأسه.. لأنه لا يطيق أن يرى قاتل أبيه يمشى على الأرض... لم يقتله فيقتل مؤماً بكافراً.. فيدخل النار. والرسول ﷺ يحس الجرح عن هذه النفوس المؤمنة « بل تشرق به ونحن حسن صبحته ما بقي معنا ».

ويطفئ الابن لأبيه على مشارف المدينة أخذاً سيفه لا يدع أباه يدخل حتى يأذن رسول الله ﷺ قائلا لأبيه: « والله لا تجوز من هنا حتى يأذن لك رسول الله ﷺ فإنه العزيز وأست الذليل » ويأذن الرسول الكريم فيقول لأبيه: أما إذ أذن لك رسول الله ﷺ فجز الآن...

ولم يغف الأمر عند هذا الحد فحسب فلما يجوز ابن أبي من سلول من مدخل المدينة وإلا ويتولى كبر أمر عظيم في المدينة وهو حادث الإمام المشهور يقول تعالى مخبراً عنه: ﴿ وَالَّذِي نُولِي كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ النور / ٦١ .

« وهكذا تمضي حقيقة أخرى... في بيت واحد... ومن كيان واحد... ومن صلب واحد... قد يختلف الابن عن أبيه بما يحمل من نفس مؤمنة صالحة.. نفس الحقيقة لتؤكد أنه لا حاجة لشباب العصر إلا بالإيمان والاطلاق بهذه النفوس المؤمنة في رحاب البذل والعطاء.. وإتي بالإمام الشهيد حسن البنا وهو يؤكد هذه الحقيقة في حديث له عن بلل النفوس المؤمنة ( منبر الجمعة ص: ٦٤٣ ) .

قوله: « وإن الإيمان الذي دفع بهذه النفوس المؤمنة إلى اليأس ما زال بحمد الله يحتمل نفوس وريثهم من شباب هذا العصر الذي طغى فيه سيل المادية الحارفة، ومهما ترقب المشرقون انقضاخ انكثية المؤمنة فهي بحمد الله في عزرة ومنعة وغنى وثروة ».

﴿ ... وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ ( المنافقون / ٧ ) .

« فوصل القلب بالله في السر والعلانية هو ميزان حساسية القلب عن أنص قال : قالوا : يا رسول الله إنا نكون عندك على حال فإذا فارقتك كنا على غيره فقال : كيف أنتم وريثكم ؟ ».

قالوا : الله ربنا في السر والعلانية.

قال : ليس ذلكم التفات ».



## (المستقيم)

وهي : نفوس

- يزيدها المجد رفعة والعز تواضعا.
- إذا ملكت عدلت وإذا قدرتم عفت.
- إذا آل إليها أمر الناس واقبت الله فيهم ولم تطلب عرض الحياة الدنيا.
- الخير يفيض من داخلها وذلك لأنه طيبعتها وسحبتها.
- ترى أن ما وهبها الله من مال وسلطان وتمكين في الأرض إنما هو من الله وإليه.
- هذه الظاهر كلها لا تتخذها من نفسها ولا تقولها عن الباقيات الصالحات.

في القرنين

ضرب الله في القرآن المثل في صورة ملك حكم بالعدل وأفاض الله على يده الخيرات فقد قام بإزسا قواعدهم الحق وإقرار العدل ، وثبت مشيئة الله في الأرض . ويقول تعالى في سورة الكهف (٨٥-٩٨) : ﴿ وَسَأَقُولُ لَهُ مِنْ ذِي الْقُرْآنِ أَنَّ سَأَلُو عَنْكُمْ عَنْهُ فَنَزَّلْنَا لَهُ فِي الْأَرْضِ ذَنْبَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَنِيَّةً ۚ فَاتَّبَعَ نِسَاءً ۚ ﴾ . وثيقة تاريخية إلى يوم الدين اكتفى الله عز وجل بالإشارة إلى ذكر طرف من أنبيائه (مه ذكرا) ، فقد أسند الله بالمال والقوة والسلطان والمجد وجمع إليه أسباب العظمة فسار في طريق الحق وكان عادلا في حكمه والقوة التي تمخضت من العدل لا تنفع ، فكم من حضارات شيدتها العدل وانتهت عند الظلم والجور ، ضرب الله المثل باتساع سلطانه ورحابة ملكه بوصف رحلاته الثلاث تارة إلى المشرق وأخرى إلى المغرب وثالثة إلى ما بين السدين . ومن خلال هذه الرحلات والأسفار تتجلى صفات النفوس المستقيمة .

لؤلؤ الإيمان والدعوة إليه :

■ فحينما وصل إلى مغرب الشمس حيث وجد هناك قوما يعيشون على المعطرة فأوحى إليه الله سبحانه وتعالى : ﴿ ... لَنَا يَا ذَا الْقُرْآنِ إِذَا أَنْ تَلَّابٌ وَإِنَّا أَنْ تَخْلُدُ فِيهِمْ حَسْبُكَ ۚ ﴾ .

يقول ابن كثير : « إن الله خير » إن شاء قتل وإن شاء آمن وعفا .  
 لكنه مع كل أسباب هذه العظيمة التي امتلكتها يؤثر العدل فكان منطق الإيمان الذي تمكن في قلبه « فقد دفعه الإيمان بالله إلى العدل » ودفعه الإيمان باليوم الآخر إلى إحقاق الحق فانتطق يقول :

﴿ ... أَنَا مِنْ ظَنَمٍ قَسَوْتُ نَعْدِيَّةً ثُمَّ بَرَدْتُ إِلَى رَبِّهِ فَمَدَّ بِهُ عَذَابًا نَكْرًا ۝ ﴾ .

« ولم يتوقف النفس المستقيمة عند الإيمان » فحسب بل إنها تنطلق داعية إلى هذا الإيمان الذي تعمق في نفسها وذلك في قوله .

﴿ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحَسَنَى وَسَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ۝ ﴾ .

فليس له الجراء الأولى والثواب الجميل من الله يوم القيامة فحسب ولكن له في الدنيا المعاملة الطيبة منا والتكريم والمعونة والتيسير

« وهكذا فحسب النفس المستقيمة توفر للمؤمنين الحرية ، حرية في إقامة شعائرها حرية في التعبير عن رأيهم الصالح ، حرية في العمل والحركة ، حرية في التعبير ليجدوا ما يحفزهم إلى الصلاح والإنتاج ، وفي ظل هذه النفوس المستقيمة في أي موقع كان ينتشر العدل نابع من عمق الإيمان وينتشر الإيمان حينما توفر لأهله المناخ السليم والجر الصالح يقول صاحب الظلال :

« أما حين يضطرب ميزان الحكم فإذا المعتدون المفسدون مقربون في الدولة ، وإذا العاملون الصالحون منبوذون أو محاربون ، فعندئذ تتحول السلطة في الحاكم سوط عذاب وأداة إفساد ويصير نظام الجماعة إلى الفوضى والفساد .. »

**ثانياً - الزهد في المال وإيثار ما عند الله :**

« وفي تنابها رحلته إلى ما بين السدين يذهب إلى قوم وكان بين السدين فجوة عن طريقها تأتي قبلتنا بأجوج ومأجوج ، علامة الفوضوية في كل زمان فيفسدون في الأرض ويهلكون الحرث والنمل ، والنفس المستقيمة لا تلتقي فقط مع الفساد على الأرض ، بل تواجهه ونحس الضمائم وتعاونهم في صد الفساد والإنحراف . »

« ويعرض عليه القوم المال قائلين :

﴿ ... قَهْلُ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ۝ ﴾ .

ويحدثنا الشرائع عن رفضه للمال « فحسبه صد الفساد ، أما هو يصنع الخير ، وهو منطلق الأنبياء » فعندما عرضت على سليمان عليه السلام هدية بلقيس قال :

﴿ ... أَعْبُدُونِي بِمَا لَمْ آتَانِي اللَّهُ خَرَجًا لَكُمْ ... ﴾ النمل / ٣٦ .

### ثالثاً - التواضع وتفجير طاقة العاملين

\* النفس المستقيمة كذلك لا تتعالى باستقامتها ولا تتطاول بعفتها بل تزداد تواضعاً، لقد جاءوا إلى ذى القربى يطلبون معونته وهم المحتاجون إليه وإلى حمايته ومع ذلك وبأدب الصالحين قال : ﴿ قال ما مكثي فيه وبني غير فأعزوني ... ﴾ .

يطلب منهم العون وهم في الحقيقة المحتاجون إلى معونته، علو ورؤى النفس المستقيمة حال قيادتها للناس .

\* ولا تنقف عند التواضع فتعمل وتنشج بل إنها تفجر الطاقات في صورة عمل من أجل الإصلاح ، فتشيع ثقة العاملين بأنفسهم بإبراز مواهبهم وإمكاناتهم وإعطائهم ما يملكون من طاقات وإبتكارات . تنظر إلى ما تحتويه كلمة ذى القربى ﴿ فأعزوني بقوة ﴾ تعني بكل أقصى ما تملكون من جهد عندكم . فمحتاج الأعمال الضخمة يحتاج إلى عاملين على قدر ضخامة الأعمال ولا تفجر طاقاتهم إلا بقائد موهوب يحمل نفساً مستقيمة .

### رابعاً - الرجوع الدائم إلى الله :

وفي إبان السطورة والسيطرة لا تنسى النفس المستقيمة قدرة الله وجبروته ، وفي إبان النصر والتمكين والفتح لا تنسى كذلك أن واهب النصر والتمكين والفتح هو الله ، وفي إبان نجاح العمل الضخم وتحقيق الأهداف الحسام لا تنسى أن ذلك يرجع إلى الله ورحمته ومعونته ، فلا تدعى فصلاً إنما هو فضل الله ، ولا تدعى قوة فالقوة لله جميعاً .

\* ها كم ذو القرنين قد نجح الهدف وتم الحمل .  
يقول : ﴿ قال هذا رحمة من ربّي فإذا جاء وعد ربّي جعله دماءً ونجّاه وعد ربّي حلاً ﴾ (٢٥) .

ويصف لنا الشهيد سيد قطب ذلك قائلاً :

« فلم يأخذوا المطر والحرور ولم تسكره بشوة القوة والعلم ولكنه ذكر الله فشكروه ورد إليه العمل الصالح الذي وقفه إليه وبراً من قوتهم إلى قوة الله » .

وهذا حال النفس المستقيمة دائماً يحدثنا الإمام ابن القيم أنه ورغم سعة ما حقق شيخ الإسلام ابن تيمية من علم ومعركة كان دائماً يقول : « ما لي شيء ولا مني شيء ولا في شيء » . وكان كثيراً ما يتمثل بهذا البيت :





أنا المكدي وابن المكدي

وهكذا كسبنا ابن وجميـدي

وكان إذا أتى عليه في وجهه يقول:

« والله إنني إلى الآن أجدد إسلامي كل وقت وما أسلمت بعد إسلاما جيدا ».

\*\*\*

## الشجر فوق قاروق وملامحه

هو إسان جشع استذل قومه ونش عليهم فذهب وذهب قومه ، وهو من كل زمان ومكان ، ففي كل عصر قاروق ، يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءَ بِالْمُصْبَىٰ أَوْ لَيُثْقَلَنَّ فِيهَا الْكُوفُ ۖ ۝٧٦﴾ (القصص: ٧٦) .  
ومن خلال العرض القرآني تظهر لنا ملامح قاروق :  
١- ﴿ فَبَغَى عَلَيْهِمْ ۖ ۝٧٦﴾ .

فيا سبحان الله ويا للبيون الشاسع بين استقامة النفس وانحرافها لقد ذهب ذو القرنين إلى قوم على انطرفة فأقام بينهم العدل ونشر الإيمان وولع جوا صالحا للمؤمنين ولم يكن الزمن زمن ومساءلة وقد خلا العصر من نبي مرسل ... ولكن النفس المنحرفة تأبى إلا الظلم والجور ولو كان زمانها زمن النبوة ولو كان بين ظهرانيها نبي مرسل ... فبكل ما تحمله كلمة ﴿ فَبَغَى عَلَيْهِمْ ۖ ۝٧٦﴾ أنه لم يحترم نبياً ولم يحترم جوا صالحا وفئة مؤمنة بل تسلط وغرور وبغى و تنكر تام لجميع الوشائع والقيم ، وانحراف في السطوة فإنه لا يرى في الوجود إلا نفسه فيختر ويسخر من الناس ...

٢- ﴿ وَآتَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ ۖ ۝٧٦﴾ .

لقد آتاه الله ثروة طائلة وعائلة ، حتى أن الرجال لا يستطيعون حملها فاتخذ ذلك وسيلة للتسلط والمنطرسه والجبروت وسبيلا لفتنهم والزهنة ، وهكذا النفس المنحرفة في حقيقتها ضعيفة أمام الفتن فلم يصمد قارون أمام فتنة المال في الوقت الذي يملك فيه نفس ذي القرنين من كل شيء مسببا لفراداد عددا وتواضعا وإيمانا وبهاء .

٣- ﴿ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۖ ۝٧٧﴾ .

إن طبيعة النفس هي التي تحدد قيمة صاحبها ومهمته هل من حماة الحق ؟ أم من أهل المتناول والمنطرسه ؟ ... لقارون يعيش بين قوم مؤمنين وفئة سالحة فلماذا لم يلحق بهم ؟ إنما ذلك لطبيعة الانحراف في نفسه ... أما الطبيعة الإيمانية في النفس



المستقيمة فهي التي تلذعها نحر العطاء والبلل.

قدو الثمدين هو المؤمن والمنجس كله من حوله في ضلال فسخر كل ما يملك وما  
وهبه الله لعند العدوان والفساد وتطهير المجتمع من شرور بأجور وماجور... في  
الوقت الذي تطلق فيه أصوات الفئة المؤمنة حول قارون قائلة له تارة ﴿ لا تفرح ﴾  
وتارة تنصحه ﴿ ولا تفسر نصيبك من الدنيا ﴾ وأخرى تقول له ﴿ وأخسر كما أضمر ﴾  
الله إليك ﴾ ولكن هيئات لهذا المنوع أن يسمع وهيئات لتلك الطبيعة أن تبدله أو  
تغير.

٤ - ﴿ إنما أولئكة على علم غدي ﴾.

غرور وحيل وادعاء كاذب والشراء مهين وفعل صلبك على الحقيقة من شدة  
التشوة الزائفة من قول قارون:  
﴿ إنما أولئكة على علم غدي ﴾

هو مجرود الخافس وتعب وكدي واجتهاد في الففضل في هذه الثروة ، فلي  
أن أفعل فيما أملك كيما أشاء.

بينما في هدوء وصفاء تعلن النفس المستقيمة حقيقة الأمر:

﴿ قال هذا رغبة من ربي ..

فإذا جاء وعد ربي جعله فداء

وكان وعد ربي حقاً ﴾.

هذه بعض ملامح قارون دليل انحراف النفوس التي تغتنم بشئ من الدنيا فلا حظ  
لها ولا فوز ، وأمام هذه النفس انقسم الناس إلى قسمين حينئذ خرج عليهم في زيت  
فضال الذين يريدون الحياة الدنية ﴿ يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون ﴾ . وأما أولوا الألفهام  
والعلم والبصيرة فكان قولهم ﴿ ... ولكنكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً ولا  
يُنقأ إلا الصابرون ﴾.

هكذا تقضي هذه النفوس في التنازع تتكرر وتستمر في كل عصر ، وتنتهي  
النهاية المفاجئة لهذا النموذج البئيس: ﴿ فليكن به وهداية الأوتى ﴾.

فعلنا الله بلا حق هذا المنوع ، ولا حاسم من أمر الله إلا من رحم .



## المجاهدون

### صفات المجاهدين :

يقول الله تعالى : ﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً ﴾ الأحزاب / ٢٣ .  
تكشف الآيات بصورة جلية صفات المجاهدين المناضلين ، فقد رسم الله عز وجل أربع صفات لهذه الرجال وهم :

#### ١ - الإيمان :

• من أين استمد الأواقل القوة ؟ وما الذي أفاض عليهم بالصبر والثبات ؟ وما الذي واحهم بالموت فأجبره ؟ وأتى لهم بالصبر ؟ ...  
أليس هذا النبع الذي لا ينضب ... أليس الإيمان ... تلكم القوة الحفية الدافعة .  
• ويعقبة مؤمنة حميدة تحركوا من أعماق قلوبهم ، فقد كان ارتباطهم مع الله وحده مباشر ، يعملون لإعلاء كلمته ودفع ركنه ورفع رايته .  
• وبالإيمان تحرروا من قيود الأرض ، فبعد أن تمكن الإيمان من قلوبهم ... أقبلوا على الله في ظل الحثيثة والرهبة من الله ... فهان كل ما سوى الله في نظرهم . فما عرف قيد من قيود الأرض عليهم سبيلا .  
فواجهوا الدنيا بلا إله إلا الله ... فلم تهزم قوة ولم ترهبهم سطوة .

#### ٢ - الصدق :

• ولكأنى بالصدق توأم الإيمان ولا يكون الرجل صادقا إلا إذا كان مؤمنا . وما أشد الارتباط الوثيق بين الإيمان والصدق لأن العقيدة المؤمنة تحمل الجهاد صادقا خالصا لا خس فيه ولا رياء ، ومن ثم يدخل الرجل في حياة الصادقين فترى من فعله التضحية ودفع التكليف .

#### ٣ - البطولة :

وذلك في قوله تعالى ﴿ فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ﴾ نفوس لا تخشى الموت ولا تهرص إلا على لقاء الله ، فمن مات منهم سبق إلى الجنة ومن بقى فهو في حركة دائية شوقا إلى أن يلحق بأعزواته . وبإلها من طعنة على أثرها صرت البطل يقول : غزت ورب الكعبة ، وآخر يستقبل الموت باسمها : غدا يلقي الأحبة محمداً

ومحبته لقد كانت البطولة عندهم تمتنى الشخصية بالمال والنفس وبذل المنهج والأرواح لإحلاء الحق وشأبه.  
وهذه البطولة عندهم في كل لحظة بالأمل فلا يعرف اليأس إلى قلبه طريقاً، فنهما طبل ليل الكفاح هم لا يأسون.  
٤ - التحيات :

في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَدَّبُلُوا تَبْدِيلاً﴾  
هم يقاتلون لبداً وهدفه ... فهل يتنازلون أم يتهاونون؟ ... كلا ... ما عرف التهاون إلى قلوبهم سيلاً، وذلك لأنهم مع الحق فلم يأبهوا للباطل وصحبه مهما تمسدت الأمور وتدخلت الشياطين ، ففى هذه الآية : ﴿وَمَا يَدَّبُلُوا تَبْدِيلاً﴾ كل الإصرار وكل الصمود الذى لا يعرف التنازل فعبادهم أعلى عليهم من أنفسهم.

## رجال..

• أرايت إلى الصديق بأى سلاح واجه المرتدين ؟ وقف أمامهم شاهراً سلاح العقيدة لواجههم في حرب مستعرة وهو الأسيف البكاء..  
« والله لو منحولى عقال، يعبر كانوا يؤدونها لرسول الله لقاتلتهم عليها » .  
• وعن قائد يفاوض المعارك ويقاتل أسم الكفر فما عرف الضعف ولا عرفه ، وكم بارز الموت وسعى إليه في لهفة، حينما يعرض عليه فى أحد المعارك أن يتراجع قليلاً ويعتصم بالجبل يقول : كلا لا اعتصم بغير الله... يتحدى الموت والموت بفر منه ولا يموت إلا على غرأه ويهوى قوله فى أسمع الزمن : (وها أنت تقوت على فراشك كما يموت البعير) وفى الله من القائد سيف الله المسلول خالد بن الوليد وأرضاه .

• وآخر من الذين يتحدون الموت ، بشر على أصحابه أن يحملوه ويرفعوه على تروس من جلد ويقذفوه وراء الحصن... وذلك ليفتح الباب ويدخل جحافل جيش المسلمين ولا يسأل بالنصر بات عليه بل ينظر إلى النصر المرتقب إنه الصحابي الجليل البراء بن معرور.

• وهذا عكرمة بن أبى جهل الرجل الذى صنته الإيمان ، بقف فى حرب الروم يوم تبوك ينظر إلى الفارين من الميدان فيقبل بأصرار لا يبالى، ولكنه ينكر ما أصيب به

المسلمون ، ويتجاهدون مع مجموعة من رفاقه على التيات حتى الموت فيقول : « لقد قامت رسول الله من قبل فمما قررت ، أقرر اليوم بعد أن شرح الله لي بالإنسان ٩ . إنها المهزلة ٩ . وكأنني بالريح قد حملت هذه الكلمة الصادقة لكل من بعد عن حياة المجاهدين وأحب التخاضع فقد مضى حكمة بعدها يقاتل ويحمل سيفه في الرقاب والهجمات حتى تأتي الشهادة ويذهب إلى ربه فائزاً بالشهادة بعد أن مضى أبوه شقياً طريداً كافراً ، فشنان بين نفس كافرة وأخرى مجاهدة ولو كانا من صلب واحد ... »

« والنفس المجاهدة لا تعرف الفرار لأنها تعيش دوماً مع الإقبال ، ويقر المسلمون وثابت بن قيس ثابت لا يقره فكان موقفه اسمه ، واسمه موقفه ، فيحط لنفسه حفرة في الرمل ويثبت فيها ، بعد أن أهال التراب على ساقه ، وذلك ليثبت في موقعه ولا يفر من الموت ... »

### ويبقى أمر...

وهكذا نفوس المجاهدين لا يرميها الباطل بحرسه وجيشه وصنجه .. وذلك لأنها في حضي الله ... يدافع عنها وينصرها .

« والروح النضالية في نفوس المجاهدين لا تهزم في صاحبها حتى وهو يحتضر فهنا سعد بن الربيع وقد اقترب منه الموت في غروة أحد ، ويسأل رسول الله ﷺ عنه ... فلما قيل له : إن رسول الله يسأل عنك ألي الأحياء أنت أم في الأموات ؟ يقول :

• أنا في الأموات .

• أبلغوا رسول الله ﷺ عنى السلام .

• وقولوا له :

إن سعد بن الربيع يقول له : جزاك الله عنا خير ما جزى نبيا من أمته .

• وبلغوا الأنصار عنى السلام وقولوا لهم :

إن سعد بن الربيع يقول لكم :

لا حذر لكم عند ربكم إن خلص إلى نبيكم وقيمكم حين تطرف .

ثم تقبض روحه الكريمة ولا يعلم بذلك رسول الله ﷺ يرقى له ويدعو له بالجنة .. وبهذا الالتزام بالإيمان حتى الانتصار ترى نفوس المجاهدين ... يستقبلون الموت وعلى أفواههم ابتسامة الرضا ...

« والروح النضالية كذلك عند المجاهدين لا تعرف التوقف بل شبحتها الاستمرار

و الجهاد المشواصل يأتي الرسول مشقلا بهجراح وآلام وكبد الأحزاب ويدعو بالاستجمام طلبا للراحة ويأتيه جبريل قائلا: أوقد وصحت السلاح يا رسول الله ؟ قال نعم .

فقال جبريل : إن ملائكة الله لم تضع السلاح عند نزول بك العدو ، هذا الله عنك .. إن الله يأمرك بالمسير إلى يهود بنى قريظة فإني حامد إليهم من معي طمأنزل بهم الحصون ..

ولا يلبث إلا أن يمشي بأمر رسول الله ﷺ بصوت بلال: 1 من كان سميعا بصيرا فلا يضلون العصر إلا في بنى قريظة 2 ثم : 3 يا عيل الله اركبي ...

نضال إثر نضال .. وثوقهم استعداد القتال جديد ... وسكونهم لجميع ... همتهم تدويب .. تحركهم دماء وتضحيات ، يركب الرسول فرسه وحوله ثلاثة آلاف مازالت جراحهم حية ودمائهم تنزف والراية بيد علي كرم الله وجهه لم تحمل بعد ...

\*\*\*

## السجادة لوك

هم نقبض النجاصين :

- بقرون من الميادين عند التزال ومتعللين بأوهى الأسباب.
- لا يضحون إلا بالكلام فإذا جاء الحرف وأنتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي ينشئ عليه من الموت.
- يضحون بمقيدتهم في سبيل الدنيا اتصافا لأنفسهم ولا يضحون بأنفسهم في سبيل الله...

يقول الله تعالى:

- ﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَمٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرُسُلُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴾

الأحزاب / ١٦ .

والموقف :

- جمرع زائفة من - المشركين والمنافقين واليهود والنصارى - على المدينة الأمنة.
- يؤلف بينهم الحفد الأسود على الإسلام ... أغبلت في جيش ضخم وتنظيم عجيب.

• تحاول غزو المدينة بالقوة والإجهاز على الإسلام وأهله.

- جمرع مدهلة ومثيرة لا قبل للمسلمين بدفعها .. ففيهم فرش وغطفان وكنانة وتهامة وقيائل نجد ...

- وبرز المسلمون لهم يهاجمون بروح عقيدتهم عن المدينة . ولكن ماذا تفعل القلة في مواجهة هذا الإغصار الشديد المدمر ؟

- لجأ الرسول القائد كمادته إلى استشارة أصحابه ... واتخذ مؤخر الشورى لأخذ الرأي . وبرز رأي سلمان الفارسي واقتنع به الجميع وهو صفر عندق ونأسي به أصحابه وسمرت فيهم روح القدوة.

- وأثناء العمل تعترضهم صخرة كبيرة ... ويخبرون بها رسول الله ﷺ . فيهرب عليها بمحور فتتحول إلى التراب ... في ثلاث ضربات ... ويخبرهم الرسول أنه رأى قصور الحيرة والروم وصنعاء أثناء الضربات وأن أمته ستتصغر على هذه



الأمم .. واستبشر المسلمون وعمرتهم نشوة باهرة وقالوا : وعد صادق.  
 \* وكلمنا اقتراب منهم سبل الأعداء العارم ارجاء تحسبهم دون أن يتخاذلوا أو  
 يجثوا ، لايمانهم بالأمل ... ( فتح الله وتمكينه لدينه ) ...  
 يقول تعالى : ﴿ ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا :  
 هذا ما وعدنا الله ورسوله  
 وصدق الله ورسوله  
 وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً ﴾ الأحزاب / ٢٢ .  
 وفي براتين هذه الشدة ظهر كذلك المتخاذلون وتطسحت براطنهم وتعررت  
 نفوسهم .

\*\*\*

## صفات المتخاذلين

### ١ - يشيخون الإشاعات :

لهم يشيخون الكلام الهابط اليأس المشيط لئلاهم ، ففي الوقت الذي تلقى فيه  
 المؤمنون ما أخبرهم به الرسول أملاً دفعهم إلى العمل ، اتخذ هؤلاء المتخاذلون ذلك  
 سخرية ومادة لتهكمهم وقالوا : « يخبركم أنه يصير من يشرب - انظر إلى كلمة يشرب  
 ودعوتهم الباطنية إلى التفرقة والقومية القديمة - قصور الخيرة ومذاق كسري وأنتم  
 تحفرون الحنق لا تستطيعون أن تغادروا مكانكم » .  
 ولذلك قالوا عند وعد الرسول : ﴿ ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً ﴾ .

### ٢ - يتأخرون بالانصياع :

بصور رب الحزة هذا الموقف المصيب قائلاً :  
 ﴿ إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأنصار وبلغت القلوب الحناجر  
 وتظنون بالله الظنونا ﴾ هـ الجاثية البقرة المؤمنون وذلولوا ذلولاً شديداً ﴿ الأحزاب /  
 ١٦ : ١٧ .

في هذا الموقف الشديد :

\* عرض الأعداء حلاً سلمياً وهو أن يأخذوا ثلث ثمار المدينة ويرجعوا وكاد  
 الموقف أن ينتهي بقبول هذا العرض .  
 \* ولكن أصواتاً حرة ترتفع معترضة غافلة :

( كلا لا تعطيهم و الله إلا السيف ) .

وعند صعب هذا الموقف وشدة ذلك ظهر نقيض هذا الصوت الجهر ، وهو صوت الشخاذه ينادى بالانسحاب .

يقول تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا ﴾ .

ينادون بالانسحاب لإخراج موقف الرسول في أصعب الظروف ...

ويقولون : ﴿ إِذْ سَأَلْتَنَا عَزْرَةً ﴾ « ويرد عليهم » ﴿ وَمَا مِنَّ يَمِينَةٍ ﴾ ويفضح نواياهم : ﴿ إِنَّا نَرِيَكُمُ الْإِبْرَاطِ ﴾ .

يقول صاحب الظلال : ( الجزء الخامس من ٢٨٣٨ )

( فهم يحرضون على ترك الصفوف ، وهي دعوى غيبية تأتي النفوس من الشفرة الضميمة فيها ، ثفرا الحروف على النساء والقراى ) .

### ٣ - ينقضون بالعقيدة

يقول تعالى : ﴿ وَفَوَّضْتُ عَلَيْهِمْ مِّنْ أَمْرِي ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ لَآئِقُهَا وَمَا تَلَقَّوْا بِهَا إِلَّا يُسِيرًا ﴾ .

﴿ الفتنه ﴾ الكفر والردة عن دينهم ﴿ لآئقها ﴾ لتعلنوها سراها غير متردعين ﴿ إِلَّا يُسِيرًا ﴾ من الوقت ، والمعنى :

لو اقتحم عليهم العدو المدينة وطلب منهم أن يكفروا لفسحوا وما ترددوا إلا ولما يسيرا في ذلك .

فهي نفوس خائفة ضعيفة تضحي بالعقيدة ولا تضحي بالنفس .

### ٤ - ينقضون العهد

﴿ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُولُونَ الدِّينَ وَأَمَّا هَٰذِهِ فَمَا كَانَ اللَّهُ مَسْئُولًا ﴾ .

وهذه مواجهة من القرآن تضفي هذه النفوس فهم لم يتسحبوا عرضاً ، إنما انسحبوا نقضاً لعهدهم السابق مع الله ألا يعودوا للفرار أبداً بعد أحد ، أما الأولى فقد ثبتهم الله برحمته كدرس من دروس التربية في أوائل عهد الجهاد ، فأما اليوم وبعد الزمن الطويل والتجربة الكافية فانهم ينقضون العهد طلباً للنجاة من الخطر والفرار .

### ٥ - يهولون «حركة الإسلام»

فهم مصدرو تهويل للأهداف الكبيرة ويسعون بالتخدير في صف الجماعة المسلمة يدعون بالتمرد ولا يشهدون الجهاد إلا لما يقول الله تعالى : ﴿ أَصْحَابُ هَيْكَلٍ إِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَقْرَعُونَ أَبْوَابَ دَارِهِمْ كَالَّذِي يَدْعُو إِلَى الْخَوْفِ فَهَبْ الْخَوْفُ

سلفوكم بالنسبة حذره أشد على الحر أو تلك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيراً ﴿٦٥﴾ .

لما أبتغ هذه الصفات ، يقول صاحب الطلال :

( عفى موسهم كرازة على المسلمين ، كرازة بالجهد ، كرازة بالمال ، وكرازة في الحواطف والمشاعر على السواء ) .

ثم يقول بعد ذهاب الطوفان وصحى الأمن :

( طخرجوا من الجحور ، وارتفعت أصواتهم بعد الارتعاش ، وانتفضت أوداجهم بالعظمة ، ونفضوا بعد الانزواء ، وادعوا على غير حياء ما شاء لهم الاديء ، من البلاء في القتال والمضل في الأعمال والشجاعة والاستبسال ) .

ثم يقول :

( وهذا الموضع من الناس لا ينقطع في جيل ولا في قبيلى موجود دائما ، وهو شجاع فصيح بارز ، حيثما كان آمن ورعاه ، وهو جبان صامت سرور ، حيثما كان هناك شدة وخوف وهو شحيح يخيل على الخير وأهل الخير لا ينالهم منه إلا سلاطة اللسان ) ( الطلال الطير ، الخامس )



## الدعوة إلى الله بين الجهاد والتخاؤل

والدعوة إلى الله لون من ألوان الجهاد في سبيل الله ، ونحتاج كذلك إلى رجال مثل الرجال الأوائل ، هؤلاء الرجال هم الدعوة الصادقون الذين يحملون هذا الإرث الصخم الثقيل ، وفي حياة الدعوة للمتأمل البصير أمور وأمور ، فقد يزداد نور الدعوة اتساعاً وبهاءً ثم لا يلبث أن يخبو ويضعف ، وهذا مرهون بحاصل الدعوة قوة وضعفها .. وقد وضع الإمام ابن القيم العلاج الأمثل في مدارج السالكين وهو يتحدث عن حياة حملة هذا الدين ، تستشعر ما عرض من علاج دواء لأنفسنا ونحن نقوم بمهمتنا التي كلفنا بها رب الأرض والسماوات...

**فهناك ثلاثة صفات لابد أن تتوفر في نفوس الدعوة وهي:**

١ - علو الهمة .

٢ - صفاء القصد .

٣ - صحة السلوك .

**١ - علو الهمة :**

وعلو الهمة : ألا تفقد النفس دون الله ولا تنحوس عنه بشئ سواء ولا ترضى بغيره بدلاً منه ، ولا تبغ حظ القرب والأس بالله والفرح والسرور والابتهاج به بشئ من الخلق أو الحسبة الذاتية ، فالهمة العالية على الهمة ، كالطائر العالي على الطيور لا يرضى بمساقطهم ولا تصل إليه الآفات التي تصل إليهم ، فإن الهمة كلما علت بعدت عن وصول الآفات إليها وكلما نزلت قصصتها الآفات من كل مكان . فإن الآفات فواعل وجواذب وهي لا تعلق إلى المكان العالي فتجذب منه وإنما تجذب من المكان المسافل : فاعلو همة المرء عنوان قلاله ، وسفول همته عنوان حرمانه .

**٢ - صفاء القصد :**

وهو إخلاصه من الشوائب التي تعوقه عن مقصوده ، فصفاء القصد تحريره لطلب المقصود له لا لغيره وهناك آفتان في القصد :

(أ) عدم التجرد للمطلوب.

(ب) أن يطلبه لغيره لا لذاته.

ويراد بصفاء القصد:

خلوص القصد من كل إرادة تراحم مراد الرب تعالى.

٣ - صحة السلوك :

وهو سلامة من الآفات والقواطع ويصح بثلاثة أشياء:

(أ) اتباع الرسول ﷺ .

(ب) الإعراض عن داعي البطالة والوقوف والدعة.

(ج) النظر الدائم إلى المقصود والنهاية وجامع ذلك في هذه العبارة:

■ أن يكون واحداً لواحد... عبداً لرب.

■ في طريق واحد... طريق الحق.

■ فلا يتقسم طلبه ولا مطلوبه... التوضيح.

■ ولا يتكون مطلوبه... المتجرد.

وهناك كذلك ثلاثة لابد أن تختص من نفوس الدعاة وهي :

١- التوقف في الطريق.

٢- طلب الشهرة.

٣- الإعلان وعدم الخفاء.

١- التوقف في الطريق :

وعكسها الحركة الدائرية والعمل المتواصل فلا يتقطعون بشئ سوى الله عنه، فكل

ما يقطع عن الله وهم في الطريق لا يقفون معه، وكل ما يصل إلى الله لا يفارقه.

لهذا يسبقون الناس فهم المقصودون السابقون ﴿وسارعوا إلى مفطرة من ربكم وجنة

عرضها السموات والأرض...﴾ آل عمران / ١٣٣ .

٢- طلب الشهرة :

فلا يبحث عن اسم يشهره في الناس أو حمل بشهره بل إن سئل عن شيخه؟

قال: الرسول، وعن طريقه قال: الاتباع، وعن خرقته؟ قال: لباس التقوى، وعن

مذهبه؟ قال: لحكيم السنة، وعن مقصوده ومطلبه؟ قال: (يريدون وجهه) وعن

رباطه وتكنته؟ قال: ﴿في ميوت أدن الله أن ترفع ويدك عنها اسمه يسبح له فيها بالقدوس

والأعمال﴾ (٣٦) وجان لأفئدتهم تجارة ولا بيع من دمر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة...

(٣٧) ﴿النور / ٣٦: ٣٧، وعن نبيه؟ قال :

أبى الإسلام لا أب لى - - - - -

إذا لم تفسدوا يفسد أو تقيم

وعن مأكله ومشربه؟ قال ٥٠ مائة ولها ؟ معها حفلاً لها وسقاؤها ترد الماء وترعى الشجر حتى تلقى وبها إشارة إلى جواب النبي ﷺ لمن سأله عن نقطة الإبل؟

٣ الإعلان وعدم الخفاء :

فهم أنغصاء أبرار لم يعرفوا بين الناس ولم يشر إليهم بالإصابع ومن الحديث ،  
« لكل حامل شرة - أى نشاط وحركة - ولكل شرة فترة فإن صاحبها صده وقارب هار جوله وإن أشير إليه بالإصابع : فلا تعلمه شيئاً » .

وتفسير ذلك قد يكون الرجل نشيطاً متحركاً مجتهداً ثم يقطع عن الخلق ويعود إلى حال أهل الدنيا والشهوات فإذا مر بالناس أشاروا إليه وقالوا : هذا كان كذا ثم طن وانقلب لهذا المرء بقوله ﷺ : « فلا تمدوه شيئاً » وذلك لأنه انقلب على عقبيه ورجع بعد الشرة إلى أسوأ فترة فذاك كانت شرته في الطاعات ثم فترت وعادت إلى الفجور .

وقد يكون الرجل منهكاً في دنياه ثم يوقفه الله لأخرته فيترك ما هو عليه ويقبل على شأنه فإذا مر بالناس أشاروا إليه بالإصابع قالوا : هذا كان مفتوناً ثم ناداه الله ، فهذا كانت شرته في المعصية ثم صارت إلى الطاعة فتلك علامة خير ونجاة أما الأولى فكانت علامة شر ومورد هلاك .

فلا بد على الدهاة أن يتحسروا بهذا الضياء والنور وهم في طريق حوصر من جميع جهاته بقواطع رحمة وعوائق هائلة حتى تتحقق الأهداف المرجوة وبهم النور وتختفى الظلمات الخاسرة .

\*\*\*

## 14

## بدر

### التسليم :

وفي الرسول إلى حصار اقتصادي على الكافرين وبالتالي إلى شلل عسكري وذلك ليعتد المسلمون أموالهم التي استولت عليها قريش فقال : « هذه غير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليهم » في الوقت الذي صور فيه المشركون أنفسهم من الصومية وسلب بقولهم : « إن أصحابنا حسناً لن تفلحوا أبداً » .

### تمتصم :

جاء مكة بصورة مثيرة بتأثيرها كل من رآها أو سمع بها إذ جاءهم برسلاً من أبي سفيان وقد جدد أنف بميرة وشنق قميصه من قبل ومن دبره ودخل مكة وهو ينادي بأعلى صوته :

( يا معشر قريش : اللطيمة اللطيمة أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه لا أرى أن تتركوها ... القوت ... القوت ) .

### التسوري :

وكلماته تتردد في مؤخر التسوري ويقف المقداد يعلن صوت المهاجرين : « لا نقول كما قال قوم موسى : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هنا قاعدون ولكننا نقاتل عن دينك وعن أموالك ودين يدك ونحلفك » .

فسر النبي ﷺ ولكنه أراد الانتصار فقال :

« أشيروا علي أيها الناس » .

فقام سعد بحمل صوت الانتصار قائلاً : والله فكأنك تريدنا يا رسول الله ؟ قال : نعم فقال : « هو الذي بعثته بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر لخطبناك معك ما تخلق منا رجل واحد » .

### وكناه الأمر ينتهي لولا ...

لولا نفوس كاذبة فقد بحث أبو سفيان برسالة إلى مكة :

« إنكم إنما خرجتم لتضمنوا غيركم ورجائكم فخذ عناها الله فارحموا ... » . وكاد الأمر ينتهي لولا صلف وغرور أبي جهل الذي قال : « والله لا ترجع حتى نرد بدرأ .. فترجم ثلاثاً .. فننحر الجزور ونطعم الطعام ونسقى الخمر وتعزف علينا القيان .. ونسمع بنا العرب فلا يزالون يهابونا بهذا .. فامضوا » .



وحكمتنا صفت الكافرين غير مستغر لا نهيار أنفسهم ، وعجم يرى  
الدار جمعاً وآخر قامضوا لهيبته وشروره...

### نعم الله على البدرين

( أ ) من أعظم النعم تقليل عدد المشركين في عين رسول  
الله ﷺ وعين المسلمين ، وتكثير عدد المسلمين في أعين المشركين  
يقول تعالى : ﴿ إله يريكم الله في ساجد للبلأ وآواكم كثيراً للبلأتم ولتأزمت في  
الأمر ولكن الله مكلم ... ﴾ الأنفال / ٤٣ .

ويقول عبد الله بن مسعود : لقد قللوا في أعيننا يوم بدر حتى قلت لرجل إلى  
جنبي : تراهم سبعين ؟ قال : لا يل مائة .. حتى أخلصنا رجلاً منهم ... أسيراً  
... لبائنا فقال : كنا العا.

### ( ب ) إنزال الملائكة :

لتأييد المؤمنين ولتفانيل معهم يقول تعالى : ﴿ وإذ تسليون ركنكم فاستجاب لكم آتي  
سجدكم بالبر من الملائكة مرونين ﴾ الأنفال / ٩ .

ويتأدى الرسول ربه : « الملمهم تصرث الذي وعدت » ، وما هي لحظات ... حتى  
يقول : « أبشر يا أبا بكر » ثم خرج يقول : « سيهزم الجمع » ويقولون الذبر .

### ( ج ) إلقاء الرعب في قلوب المشركين :

يقول تعالى : ﴿ سألفي في قلوب الذين كفروا للرعب ﴾ ، ويقول ﷺ :  
« نصرت بالرعب مسيرة شهر » .

\*\*\*

## البدرين

وبعد هذه المعاشة مع جو بدر ونعم الله على البدرين ، بطيب لنا أن تشهد بعضاً  
من هذه النفوس المتكاملة المستقيمة ، والتي سميت في الإسلام بـ ( البدرين ) .

### ١- معاذ بن الجموح :

كان سيفه صاحب الضربة القاضية على أبي جهل ، جأته غيرة من هكرمة بن  
أبي جهل فقطعت يده ، ولكنها تعلقت بهجلة فيه ، وأخذ يقاتل الكافرين ، وسحبها

حلله ..... قلتما أدته وضع عليها قدمه ثم طرحها وجاء بها رسول الله ﷺ ... فكان يدرياً .

٢ - سعيد بن خيثمة :

إنه أحد النضباء الاثنا عشر .. ولما دعى إلى الجهاد قال أبوه خيثمة: ولا بد لأحدنا أن يقيم فأتوني بالخروج وأقم مع نساك . فابى سعد وقال : « لو كان غير الجمة آثرتك به ، إني لأرجو الشهادة في وجهي هذا » .

ومازال الأمر بين الابن وأبيه فاقشعرا ، فخرج سهم سعد ، فخرج للجهاد فاستشهد ، فاستحق أن يكون يدرياً .

٣ - حمير بن أبي وقاص :

ولما استمرخص الرسول الجيش رد حمير ، لعصرته ، ولكنه يبكى فأجازه ، وكان حمير يتوارى ، ففأل له سعد : « مالك يا أخي ؟ » قال : إني أخاف أن يراني رسول الله ﷺ فيستصغرنى ويردنى .. وأنا أحب الخروج لعل الله يرزقنى الشهادة ... وبهذا الاصرار مضى حمير إلى به يدرياً ، رغم صغره .

\*\*\*

## نقوس في الفتح

❖ وفي الفتح ظهرت نقوس ونقوس، فقد كان فتحاً للإسلام بعد طول جهاد مداه واحد وعشرون عاماً، فإن كانت بدر بداية فالفتح نهاية، ودقاتي القوس تتعري عند البدايات، كما تكشف عند النهايات كذلك.

❖ إنه اليوم الذي دخل فيه الناس في دين الله أفواجاً.. وجاء النصر والتمكين.. وكان أرحاماً بتمام النعمة وكمال الرسالة وارتضاء الإسلام ديناً.

**نقوس مشقة:**

❖ وبالنظر لسبب الفتح ترى أن القوس المعلقة التي كادت أن تسبب إراقة للدماء كعادتها فغورو أي جهل كان السبب الرئيس في دعاء بدر... فهذه خزاعة في حلف مع رسول الله ﷺ وتلكم هو بكر في حلف قريش.. وثاني عن بكره أيها يحوطها الغرور وتغلفها حمية الجاهلية وتعتدي على خزاعة إلى الحرم.. حيث لا قتال عند الحرم.. وهكذا تعارف العرب.

❖ ومن وراء بني بكر ثاني قريش فبعد أن وجه الرسول طاقات المسلمين نحو الدعوة ونشر الإسلام وبعد جهاد دام سبعة أعوام... تفرق قريش العهد.

❖ وترفع صيحات بني بكر لفائدها نوفل بن معاوية وهم داخل الحرم: **إننا دخلنا الحرم.. إلتهك.. إلتهك..**

ويرد صاحب النفس المخلقة: **( لا إله لكم اليوم يا بني بكر.. أحسبوا تأركم) رسول خزاعة!**

ويسرع عمر بن سالم رسول خزاعة إلى رسول الله ﷺ بنفس عليه نية قومه قلماً قدم المدينة وقف على النبي وهو جالس في المسجد بين ظهراني الناس يقول:

**يا رب إني ناشيد محبباً**

**حلف أبينا وأبيكم الأنداد**

**فأنصر هداك الله نصراً عظيماً**

**وإدع عباد الله بأنوا مددا**

**إن قريشاً أخلفوا الوعدا**

**ونقضوا عهدهم الموكدا**

ويرد الرسول ﷺ : « نصرت يا عمرو من سالم » وكانت البداية...

أبو سفيان :

\* وتفرغ قريش من غزوها الاتفاقية ويخرج أبو سفيان سرحا إلى المدينة لمقابلة النبي والأعداء واصلاح ما أقصده قومه، ولكنه لم يجد في استقباله أحدا لخلاف عقيدته وتنازرها مع العقيدة المومة.

\* ويدخل على ابنته « أم حبيبة » زوج الرسول ﷺ وأم المؤمنين فتطوى عنه الفراش حينما أراد أن يجلس عليه:

فيقول: يا بنية ما أدري أرفقت بين عن الفراش ؟ أم رغبت به عنى ؟

فقالت: بل هو فراش رسول الله ﷺ وأنت مشرك نجس...

قال : والله لقد أصابك بعدى شر ، ثم خرج...

\* ويحاول أبو سفيان مقابلة الرسول والتكلم معه ويستشفع بأبي بكر ليحدث النبي فيرفض ثم يذهب إلى عمر الذي قال له كمعادته العنصرية : « أنا أشفع لكم عند رسول الله ... والله لو لم أجد إلا الفر لجاهدتكم به ».

ويتركه خائبا إلى على بن أبي طالب الذي أشار عليه بالرجوع لرسول الله قد عزم على الأمر ... وفي الوقت نفسه كان الرسول ﷺ يعبأ المسلمين للقاء المنتظر.

\* نفوس تخطو :

\* وهذا النوع من النفوس لم يظهر في تاريخ الإسلام إلا يوم الفتح حينما أعلم حاطب بن أبي بلتعة - وهو من البدرين الذين شهدوا بدرا - الكافرين في مكة بوجهة رسول الله ﷺ .. وذلك في رسالة يعث بها مع وافدة مستأجرة من نساء قريش ولما أوحى إلى رسول الله ﷺ بذلك ... أمر عليا والمقداد بالقبض على المرأة والرسالة اخفائنة ويلحق الرجلان بالمرأة التي تنكر في بادئ الأمر الرسالة ، ولكن عليا والمقداد يحزمان الأمر ويقولان لها : « لنخرجن الرسالة أو نكشفتك ».

\* وما لبت شعري من تلك الفاجرة الكافرة التي هي على كفرها وضلالها على حياء فقد اتهازت أمام حزم الرجلين قائلة لهما: اخرجنا عنى » وذلك حتى لا يربا شعرها ... فقد كانت تخفي الرسالة بين خفافر شعرها .

\* وفي المدينة يجري تحقيق مع حاطب بن أبي بلتعة الذي أعلن فيه أنه مؤمن وما دفعه للكتابة إلا أنه أراد أن تكون له يد عند قريش فكل الأصحاب لهم يد وأهل وخشى هو ذلك ... فسأراه أن تكون له عندهم يد تشفع له عند المهزومة ... ورد حاطب بهذا الشطط الخاطيء وهو لا شك خطأ ما بعده خطأ .

« ويطلق عمر يقف أمام النفس الحافظة شاهراً سيفه ، أخرب صفه يا رسول الله لقد نائف . ولكن الرسول ينظر بمنظار الإسلام :  
« وما يدريك يا عمر .. لعل الله اطلع على أهل بدر ، لقد لهم : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » .

« هذا هو الإسلام الذي يحترف بماضى الرجل وما آداء من تفسيحات ، ولا ينكرها عند الخطأ ، فكل نفس للخطأ هي تضرع ... وينزل القرآن الكريم شاهداً لحاطب بالإيمان مع خطئه :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَجِدُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ لَلَّذِينَ اتَّبَعَتْكُمْ هُمُوتٌ ... ﴾  
الممتحنة / ٩ .

وهكذا نفوس تعيش بيننا .. مؤمنة ..

فقد تخطأ .. ورب يعلم سريرتها وما تخفيه ..

فيظفر .. وهو النفور ..

نفوس تأتي بفضخه ..

« ويرضى الرسول ﷺ عاطفة الفخر في نفس أبي سفيان ليقول لقريش : من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن ويأتي أبي سفيان قريشاً صارخاً :

( يا معشر قريش ... هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به ، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن ) ، وتسيه هند زوجته بأفزع الكلمات فائلة :

( قبحت من طليعة قوم ) . ولم يكثر بها ويمارء تحديره لقومه مؤكداً

( من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ) .

فما زالت عاطفة الفخر تجري في نفسه .. ثم يقول له القرشيون قاتلك الله ؟ وما نفس هنا دارك ؟

يقول ومن أغلق عليه بابه فهو آمن .. ومن دخل المسجد فهو آمن ...

« ويضم الرسول ﷺ سلكاً آخر بأن يرضى العباس حبه واحتجاز أبي سفيان في مضيق الوادي حتى يرى جموع المسلمين فتنهزم روح المقاومة عنده ... ويسأل أبو سفيان من هؤلاء ؟ ويرد العباس : مزينة فيقول : ما لنا ولزينة ؟ ما لنا ولسلم ؟ وما زال يردد : ما لنا ولبنى فلان ؟ .. حتى يمر رسول الله ﷺ في الكتيبة الخضراء لا يرى منهم إلا الحديق من الحديد فيقول سبحان الله يا عباس من هؤلاء ؟ فيقول العباس : هذا رسول الله ﷺ في المهاجرين والأنصار .. فيقول أبو سفيان : لقد أصبح ملك ابن

أعيان اليوم عظيماء ويصيحح العباس : يا أيها حقيان : إنها النبوة ،

نفوس قسيس .

هي نفوس مرمية ، قوى إيمانها وثباتها وعقيدتها ، ولكنها في فترات الانتصار قد نسى ، وفي هذه اللحظات تعزل حتى لا يدفعها حماسها الشديد وتغيرتها على الدين إلى الغلو والسير بالحند في غير الهدف ، فهذا محمد بن عمادة سيد الأوس يصبح بعد نشوة النصر عند الفتح : « اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الحرمه ، اليوم أذل الله قريشاً » .

وتبلغ هذه القولة إلى القائد الرسول فيمثل :

« بل اليوم يوم تعظم فيه الكعبة ، اليوم أعز الله فيه قريشاً » .

ويأمر بتزع اللواء من سعد وتمطى القيادة لآبه مخافة أن تكون لسعد صولة في الناس تعوق عن الفتح .

رسول كريم .

يدخل رسول الله مكة بعد أن أضر حننه طريقه مهاجراً بعد إيلاء وتعذيب دام ثلاثة عشر عاماً ... الآن وبعد جهاد دام ثمانية أعوام بالسيف ... رسول الله يدخل مكة هاتماً ... لو كان عسكرياً لعمت الدنيا بأقواس النصر ولكنه الرسول الغاثه المبعوث رحمة للعالمين :

يدخل عاتماً ... متحنياً على رحله ... في تواضع جم .

لقد كان يذكر فعسولاً عند أن صدم بالامر مطورو ، فأى عاطفة جماشت في صدر رسوله الحبيب الذي زادت هذه المواقف خشوعاً وتواضعاً فكان خشوع الفتح وتواضع العظماء .

ويجمع القريشيين ويقول لهم : ما ترون أنى فاعل بكم ؟ يقولون : أخ كريم وابن أخ كريم .

يقول : أقول لكم كما قال يوسف لأخوته :

« قَالَ لَا تَقْرِبُوا عَلَيَّ الْيَوْمَ .. » يوسف / ٩٢ .

« اذهبوا فأنتم الطلقاء » .

وما زالت في أسمع الزمان ... اذهبوا فأنتم الطلقاء .

نفوس تأنى بالتلطيف :

وهذا فضالة بن حبيب يلترب من الرسول يريد أن يجد له فرصة ليلقته وينظر إليه رسول الله فثقة نظرة يعرف بها طريقته ثم يستدعيه ويقول له : ماذا كنت تحدث به

تفكك : يقول: لا شيء .. كنت اذكر الله ؟ فطعك النبي ثم قال : استغفر الله ..  
وتلطف معه الرسول ﷺ ثم وضع يده على صدره فانصرف الرجل يقول : « ما وقع  
يده من صدري حتى ما خلق الله شيء أحب إلي منه » .  
وكانت لقضية مقامات مع النساء في جاهليته فمر على إحسان ، فقالت له :  
هلم إلى الحديث ، فأنبت قائلاً :  
قالت هلم إلى الحديث قلت : لا

يأبى عليك الله والإسلام

#### وبعد الفتح :

بصمد بلال يؤذن في أرجاء مكة بما كانت تحلوه بالأمس من أجيله : لا إله إلا  
الله .. محمد رسول الله .

وحوله الأحنام تشهد مع العاملين أنه لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ثم  
تخطمت ألهة الأمم بأيدي عبادها ويردد النبي قول الحق : ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزُفِيَ  
الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ الإسراء / ٨١ ، وطوى لهؤلاء الجند الذين يقبحون  
بأنفسهم ولم يروا النصر ويكفريهم أنهم جاهلوا وحصلوا على الجنة... يكفهم أن  
دماءهم رسمت الطريق لأجيال من بعدهم تفدى الطريق وتقوى السالكين..

أين حمزة الأسد؟

أين مصعب النخعي؟

مضوا إلى ربهم ولم يروا الفتح ؟

ومضى درس للأجيال :

أه ليس من الضروري أن يرى جند الإسلام نتائج جهادهم من التمكين والفتح.



## الشابورة عند الفتن

### عند الفتنة :

وعندما تأتي الفتنة تأتي كسيل عارم وتحتلط الأمور وما نحن رسول الله ﷺ يحذر الأصحاب الكرام من الفتنة ، فمن حيد الله بن مسعود قال : قال ﷺ : « يأتيين على الناس زمان لا يسلم لدى دين دينه إلا من فر بدينه من قرية إلى قرية ، ومن شاق إلى شاق » ومن حمر إلى حمر .  
وحنه قال :

« ذكر رسول الله ﷺ الفتنة وأيام الهرج ، قلت : وما الهرج ؟ قال : حين لا يأمن الرجل جليسه ، قلت لهم تأمرني إن أدركت ذلك الزمان ؟ قال : تكف نفسك ودارك وبذلك وأدخل وأرك قال : قلت يا رسول الله : أرايت إن دخل على هجري ؟ قال : ادخل بيتك ، قال : قلت يا رسول الله : أرايت إن دخل على بيتي ؟ قال : فادخل مسجدك واصنع هكذا - وقبض بيمنه على الكوع - وقل : رب الله حتى تموت على ذلك » .

### نفوس عاقلة راشدة :

« وعند الفتنة تنكشف حقيقة النفوس ، وقد عرجت منها رطم شهادتها نفوس عاقلة راشدة .. فإذا بهم يعتزلونها ولا يخصوصون مع الخائفين حتى تهدأ رياحها وتستقر أحوالها وتلوح معالم الحق بعد أن اختلط بالباطل وتتشرب به ... فكانوا لها هدياً تسيرون على خطاهم وترسم طريقهم : ﴿ ... وأفتح سبل من آتاه إلي ... ﴾ لقمان / ١٥ .

فلقد جاء عبد الله بن عمرو بن العاص يسأل رسول الله ﷺ : كيف أفعل عند ذلك جعلني الله فداك؟ فقال ﷺ : « الزم بينك ، وأملك عليك لسانك ، وخذ ما تعرف ، ودع ما تنكر ، عليك بأمر الخاصة ، ودع عنك أمر العامة » .

« وقد قسم الرسول ﷺ الحياة عند الفتنة إلى قسمين :

### القسم الأول :

وهو أمر الدين : « خذ ما تعرف ودع ما تنكر » .  
« وما تعرف » هنا كل الفرائض والواجبات التي أمر بها الإسلام ودع ما تنكر من



## القسم الثاني:

وهو أمر الدنيا في قوله : « عليك بأمر الخاصة ودع عنك أمر العامة » أي عليك بما يخصك ويمنحك من إعالة أهلِكَ وسياسة ذويك والقيام لهم والسعي في مصالحهم ، ونهى رسول الله ﷺ عن التعرض لأمر العامة والتعاطي لسياستهم والثراء عليهم في أمورهم ، وإلى هذا الشرح ذهب الإمام أبو سليمان العيني .

• إذن فحاصل الأمر عند الفتن اعتزالها والفرار منها وعدم الخوض فيها لئلا يحرف سيلها العارم المتعرض لها قبهلك وما التولى إلا من عند الله ، تسأل الله لما ولكم الثبات والنجاة والسلامة ، فقد مثل رسول الله ﷺ عن الفتنة : فسادا تأمرنا ؟ قال : « كونوا أحلاس بيوكم » يؤكد الإمام ابن سيرين على أن اعتزال الفتن عبادة بقوله : العزلة عبادة .

• وربما يسأل سائل : كيف أجلس في داري ؟ وهل يطيق الرجل ذلك ؟ وقد حُفِظ الإسلام على الحركة والسعي ؟ .

• إنما يستوحش الإنسان بالوحدة لحلاؤه ذاته وعدم التضييق من نفسه فيشكّر حينئذ بملاقاة الناس ، ويطرد الوحشة عن نفسه بالكون معهم ، فإذا كانت ذاته غاضلة طلب الوحدة ليستعين بها على الفكرة وينفرد لاستخراج الحكمة .

ولعل في قولهم الإجابة المشافهة لاعتزال الفتن وكيف يكون حال المسلم المؤمن بربه عند الفتنة إلى قسمين أحدهما للدين وثانيها للدنيا كما تبين .

## الكتاب الثاني

وهذه أمثلة لنفوس حاقلة راشدة خرجت من كل فتنة غبراء مظلمة .

## ١- سعد بن أبي وقاص :

كان سعد بن أبي وقاص في إبل له وغنم غائاة ابنه عمر بن سعد فلما رآه قال : أعود بالله من هذا الراكب ، فلما انتهى إليه قال : يا أبت أراضيت أن تكون أعرايا في إبلتك وغنمك والناس يتنازعون في الملك ؟

فضرب سعد صدر عمر بيده وقال : اسكت يا بني لأنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الله يحب العبد الغنى الغنى الغنى » وهكذا كان سعد .. اعتزل الفتنة وأبى أن يخرج مع أحد القريتين وحصار مثلاً يحتذى وخاصة حينما ضرب للامة مثلاً

فقال ميرزا موقه الحافظ الراشد :

مثلاً ومثلكم كمثل قوم كانوا على محبة بيفساء ، فبينما هم كذلك يسهرون حاجت ربيع عجايزة فحصلوا الطريق والتيس عليهم فقال يعقوبهم ، الطريق ذات اليمين فأخذوا فيها فتاهوا وصلوا .

وقال آخرون : الطريق ذات الشمال فأخذوا فيها فتاهوا وصلوا .

وقال آخرون ، كما في الطريق حيث حاجت الربيع فبيع فأباحوا ، فأصبحوا فذهب الربيع وبين الطريق . فهو لاه هم الجماعة . قالوا : تلزم ما فارقنا عليه رسول الله ﷺ حتى تلقاه ولا تدخل في شيء من الفتن .

قال ميمون : فصار الجماعة والفتنة التي تدعى فيه الإسلام ما كان عليه سعد بن أبي وقاص ، الذين اعتزلوا الفتن حتى أذهب الله الفرقة وجمع الأئمة ، فدخلوا الجماعة ولزموا الطاعة ، وانقادوا فمن فعل ذلك ولزمه نجا ، ومن لم يلزمه وقع في الهالك .

**يقول الشيخ البهسي معقبا :**

« ومن اعتزل تلك الفتنة حتى اغتيلت محمد بن مسلمة الأنصاري وعبد الله بن عمر بن الخطاب ، في هذه كثيرة من الصحابة » فما كان من أمرهما .

**١ - محمد بن مسلمة الأنصاري :**

يقول ثعلبة : دخلنا على حليفة فقال : إني لأعرف رجلاً لا تضره الفتن شيئاً ، فخرجنا فإذا قسطاط مضروب لسائده عن ذلك فقال : « ما أريد أن يشتمل على شيء من أمصارهم » حتى تسجل عما أجهلت .

**٢ - عبد الله بن عمر بن الخطاب :**

« كان أشد الصحابة حذراً من التورع في الفتن وأكثرهم تحديراً للباس من الدخول فيها ، وعاصر جميع الفتن حتى أنه بنى إلى أيام فتنة ابن الزبير ، فلم يقاتل معه ولم يدافع عنه ، ويروى لنا أحد التابعين كيف كان حال عبد الله عند هذه الفتنة قائلاً :

كنا مع عبد الله بن الزبير والحجاج محاصره ، كان ابن عمر يصلي مع ابن الزبير ، فإذا قاتته الصلاة معه ، وسبح مؤذن الحجاج انطلق فصلى معه ، فقبل لم تصلى مع ابن الزبير ومع الحجاج ؟ فقال : إذا دعونا إلى الله أجبتهم ، وإذا دعونا إلى الشيطان تركناهم .

« وكان ينهى ابن الزبير عن طلب الخلافة والتعرض لها ، يروى ابن أبي عثوب

قال: لما قتل الحجاج بن اليزيد، وصلبه على طريق المدينة يعاين به قريش، فمر به محمد الله بن عمرو فوقف عليه فقال: السلام عليك أيها الحبيب - ثلاثاً - والله كنت أنهارك عن هذا - ثلاثاً - والله كنت صواماً قواماً وصولاً للرحم، والله لأمة أت شرها لنعم تلك الأمة، ثم مضى.

ومضت معهم سنة ناقة وعلامة نبوية هادية من ربهم رسولنا في جميع أسواقهم حتى الفتن فكانوا نمرجاً محافلة واشدة، تخرج من كل فتنة مقلعة صراء نسأل الله أن يهينا نفوساً نهي الحق، واشدة تعزل الفتن، وتلوذ بالله، وتخرج من كل فتنة تعترجها، غافة واشدة بإذن الله...

\*\*\*

## نقوس جند الشهوة

الشهوات صراع دائم ومحل هذه الصراعات هي نقوس التي بين جنوننا، وهذه  
النقوس هو ما بين إرادتين:

### ١- إرادة الله:

قاله يريد لها أن تحيا حياة طيبة مثلها الاستقامة والطهر، وأن تحصى على طريق  
الله تامة مستغفرة لذنبها.

### ٢- إرادة الشيطان:

الذي يريد أن تمنح النفس إلى الإثم وأن تميل إلى الخطيئة وأن تخشع من معين  
الشهوات...

### وبينهما إرادة الإنسان:

التي تحسم هذا الصراع حينما تقوى أو تضعف: ففي حال القوة تتوجه النفس  
إلى ربها وتطلق في رحاب النور، أما عند ضعف الإرادة الإيمانية في الإنسان  
تضعف النفس ويميل كل الميل إلى الأثم والمعاصي.

﴿ والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً ﴾  
النساء / ٦٧.

فالإنسان بين صديقين، صيد الشهوات الذين هم دعاة الرذيلة والاثم، وعباد  
الرحمن، الذين هم الدعاة إلى الخير والرشد. قاله يريد أن يتوب عليكم، ويجعل  
الإنسان قلباً نقياً طاهراً يارفاً، أما الشيطان فإنه يريد الفاحشة والرذيلة والخطيئة،  
ولكن من رحمة الله بعباده أن جعل الانتصار للنفس صاحبة الإرادة المؤمنة وجعل  
الهزيمة كل الهزيمة للإرادة ضعيفة الإيمان. إذن فهي مواجهة صريحة بين إرادة الله  
وبين الذين يتبعون الشهوات... تخرج من خلالها النفوس إما منتصرة قوية تقوى  
دعائم المجتمع المسلم وأما خاسرة كسيرة تحقق غاية الذين يتبعون الشهوات، من رد  
المجتمع المسلم إلى الجاهلية خاصة في نظام الأخلاق، وهذا الأمر ما يصنمه الجرم  
أصحاب الأفلام الهايطة والنفوس الخاوية لتدمير ما تبقى من خلق لدى الناس...  
ولا مواجهة لهذه الهجمة الخبيثة إلا بمنهج الله القويم... وهو ما يقوم بإقراره وكتب  
المؤمنين الموصول إن شاء الله...

لا تطفى الشهوة في المجتمع إلا إذا تخطى عن أصول الإيمان ونهى دين الله بعيدا عن الحياة... فحينما تخطى قوم لوط عن منهج الله طغت فيهم الشهوة في أسخط صوره... وعندما تخطى قوم نوح عن منهج الله طغت فيهم شهوة الحرص على الحياة:

﴿ قَالَ سَكَّرِي إِلَى جَبَلٍ يَخْفَى مِنْ قَوْمٍ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ هُمْ مِنَ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَجَعُ وَحَالَهُ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴾ هود / ٤٣... وعندما تخطى قوم شعيب عن منهج الله فشت فيهم شهوة الحرص على المال والمسل على زيادته بالبخس والنهب والسلب... وهكذا ظم يكن وقضهم الإيمان إلا لخلوة الشهوة الزائفة التي أحاطت بهم من كل جانب.

ولم يكن عقاب الله لهذه الشهوات بالصحة والفرق وجعل عالي القرية سافلها عقابا وانتهى ليشط الناس، وإنما كان عقابا محضا ودرسا مستمرا مكررا:

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْضِرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ طه / ١٢٤.

وما يحدث اليوم في مجتمعات الأرض التي شردت عن المنهج من عقاب لأفصح بيان لهذه الحقيقة: ففي فرنسا: يقول طبيب يدعى ليريه: أنه يموت في فرنسا ثلاثون ألف تسممة بالزهرى، ثم تكمن الخطورة وراء سهولة تلبية الميل الجنسي وفوضى العلاقات والتخلص من الأجنة من تدهور وعدم استقرار الأسر وعدم القدرة على الزواج.

ويقول أبو الإعلى المؤدودي في كتابه الحجاب:

( سبعة أو ثمانية في الألف هو معدل الرجال والنساء الذين يتزوجون في فرنسا اليوم ).

ويقول حميد كلية في باريس: ( إن عامة الشباب يريدون عقد النكاح استخدام بنى في بيوتهم أيضا ).

وناهيك عما يحدث في السويد تحت شعار « حرية الحب »

تقول إحدى الإحصائيات: أن ٩٥ في المائة من الشباب في سن ٢١ سنة لهم علاقات جنسية.

وتفصيل ذلك: ٧ في المائة مع خطيبات، ٣٥ في المائة مع حبيبات، ٨٥ في المائة مع صديقات عابرات.

وتقول الأبحاث العلمية أن ٨٠ في المائة من نساء السويد مارسن علاقات جنسية قبل الزواج .

والحال في أمريكا لا تقل على هذه الحال ، فقد أعلن رئيس الولايات المتحدة أن ستة من كل سبعة شباب في أمريكا لم يعروا يصلحون للجنسية بسبب الانحلال الخلقي الذي يعيشون فيه .

أما المخشراً فيبقى ما كتبه أحد القضاة :

« أنه من كل حالات زواج تم عرض قضية طلاق » هذا طرفه مما تتكلفه البشرية الصائقة ، في جاهليتها الحديثة ، من جراء طاعتها للظلم يشعرون الشهوات ولا يريدون أن ينهتوا إلى منهج الله للحياة ، حيث يريد الله لهم الهداية والحماية من الشهوات والوصول بهم إلى التوبة والصلاح والطهارة .

**سميل النجاة من الشهوة :**

« أن يعلم الإنسان المسلم أن السعادة لن تكون في مال يكثره ولا أرض يملكها ولا امرأة ينكحها ، ولا سلطان يصل إليه ، ومن هنا كان نداء الله العظيم لرسوله الكريم :

﴿ وَلَا تَمُدَّنَا عَيْنَا إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْضِمَهُمْ فِيهِ وَرِزْقٌ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ۖ ﴾ طه / ١٣٦ .

فالسعادة الحقيقية بالحياة مع الروح والعيش مع القرآن والصلاة بالله بصلاة عاشقة يتأثر القلب بها ، بركات في جوف الليل ونفس سوية لا تحمل في صدرها شيئاً لأحد .

« وأن يكون المسلم على حرج من وبه ، وحياه عتله أصغر الذنوب ، ولا يصل به الذنب إلى اليأس قط فإن أبواب الله مفتحة أمامه ، ثم بعد ذلك الدم الحزين فدان الندم توبة كما قيل ، وكيف تسلب عنه التوبة مع شدة ندمه على الذنب ، ولو نه نفسه عليه ؟ ولا سيما ما يتبع ذلك من بكاء وحزن وعرف ، وبعد ذلك معاودة الإنصال بربه دون تباعد أو تنكيز ، أما هؤلاء المجاهرون بالمعصية وينفخون بها فهم على خطر عظيم لقوله رسول الله ﷺ :

« كل أمشي معالي إلا المجاهرون » .

يمشون بسترهم الله وهم ينهكون أنفسهم من عدم الحشية ، وإنه لمن العجب حقاً أن نرى الذين يشعرون الشهوات يجاهرون بها في بهجة وسرور ، غافلين أن تكاثر الذنوب على القلب تتحول إلى غطاء سميلك يحجب نور الله ، يقول الله تعالى :

﴿مَلَأَ بَلِ وَاثًا عَلَى الرُّسُلِ مَا كَانُوا بِكَيْسِيٍّ﴾ المائدة / ١٤ ، أَى عطت الذنوب على القلوب فأحسجت عن التور .

#### عباد الرحمن :

ضرب الله المثل بصفات هذه النفوس حينما تحدث في القرآن الكريم حين صفات عباد الرحمن يقول الله تعالى : ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ الفرقان / ٦٣ : ٦٤ ، فيبين الله تباركهم وليلهم .

« فمنهاهم : في مشية سهلة هينة ، ليس فيها تكلف ولا تصنع ، وليس فيها حيلة ولا تنفخ ، فنفسهم السوية ظهرت في شخصيتهم بالوقار والسكينة مع الجدة والتقوى ، فلم تعرف مشيتهم التبداهي والتهاوي في التنبهات لأظهار الصلاح والتقوى ، وإنما كانوا كنفوسهم رسول الله ﷺ فيما يحدثنا به أبو هريرة : « ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله ﷺ كأن الشمس تجري في وجهه ، وما رأيت أحداً أسرع في مشيته من رسول الله ﷺ كأنها الأرض تطوى له وإنما لجهد أنفسنا وإنه لغير مكترث » .

وهم مع وفاءهم لا يلتفتون إلى حماقة الحمقى وسفه السفهاء ، ولا يشغلون بالهم ووقتهم وجهدهم بالاشتياك مع السفهاء والحمقى في جدل أو عراك ، إنهم يترفعون عن المهازير الطائشة : ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ .

« أمّا ليلهم » فهو التقوى ومراقبة الله والشعور بجلاله والخوف من عذابه . ﴿وَالَّذِينَ يَمْشُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ (٦٣) والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إننا عدناها كان حرماً ﴿الفرقان ٦٤ : ٦٥﴾ . ينام الناس وهم قائمون ساجدون ويخلد الناس إلى الأرض وهم يتطلعون إلى عرش الرحمن ، ذى الجلال والإكرام ، وهم في قلوبهم وسجودهم تحتل قلوبهم بالتقوى والخوف من عذاب جهنم .. هذا الخوف الذي هو ثمرة الإيمان المحيى ، وثمره التصديق .

#### « طبعهم الاعتدال والتوازن :

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ الفرقان / ٦٧ . وهذه سمة الإسلام في بناء النفوس على التوازن والاعتدال ، ليس على المال فحسب ولكن في جميع أمور الحياة ، فجعل الإسلام الاعتدال سمة من سمات الإيمان : ﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ .

« تتجلى من خلال العرض القرآني أهم صفاتهم »

١ - العبودية لله .

٢ - التواضع .

٣ - الحياة .

٤ - إظهار السلام .

٥ - إخلاص العبادة لله .

فإن العبودية الكاملة لا تكون لله إلا إذا تحقق التسليم الكامل في داخل النفس ،  
فصاد الرحمن هم الذين يستمدون العون من الله وحده . ﴿ وَأَقْبُوا اللَّهَ يَهْدِ اللَّهُ  
وَاللَّهُ يَتَّقِلُ يَتَّقِيكُمْ ۖ فَبِمَا كُنْتُمْ كَافِرِينَ ﴾ البقرة / ٢٨٢ .

﴿ وَيَعِيشُونَ دُونَما يَسْتَمِدُّونَ الْعُونَ مِنَ اللَّهِ ، وهم الذين يعيشون لرهبهم ﴾ قل  
إن صلاتي وتسبيحي ومشيائي لله رب العالمين ﴿ الْأَنْعَامُ / ١٦٢ .

ثم هم الذين يعيشون كلهم لله ويرجعون الأمر إلى الله ، وفي حال التسليم  
يتواضعون : ﴿ وَمَا يَكُفُّمْ مِنْ نَفْعَةٍ فَمِنْ اللَّهِ ... ﴾ النحل / ٥٣ .

ويقتضى عباد الرحمن يواضعون الشهوة في ممركة صارية ، فكانهم بين البشرية  
ريح رخاء وروح وريحان : ﴿ أَوَلَمْ تَكُنْ تُجِزُّونَ الْفُرْقَةَ بَيْنَ صَبْرٍ وَأَبْرٍ فِيهَا فَحِشٌ  
وَسَلَامٌ ﴾ الفرقان : ٢٥ .

نفوس عند الشهوة :

﴿ روى البخاري : أن المسلمين لما قدموا المدينة آخى رسول الله ﷺ بين عبد  
الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع ... فقال - سعد لعبد الرحمن : إنني أكثر الأنصار  
مالاً ، فأقسم مالي نصفين ، وكنت امرأة ثمان فانظر أعجبهما إليك ، فسمعا لي أطلقها ،  
فاذا انقضت عدتها فتزوجها ...

قال عبد الرحمن :

بارك الله لي أهلكت ومالك ؟

أين سوقكم ؟؟

أي ارتفاع إذن كانوا فوق الشهوات فلم يعرفوها ولم تعرفهم ويزا هم عبد  
الرحمن اليهود في سوق فينقاع ، ويكسب بعد أيام قليلة ما ينف به نفسه ويحصن  
به فرجه حينما يسوق إلى زوجته نواة من الذهب ...

﴿ وما يسمع حنظلة بن أبي عامر هو انتف الحرب ، إلا ويهرع للتضال فكان حادي  
التضحية أملك لنفسه وأصلاً لحسه من داعي القلعة ، فقد كان حديث عهد بحرس ،



فانقلب من أحضان زوجته وأسرع إلى ساحة الرغوى حتى لا يقوته الجهاد ، فاستشهد البطل وهو جنب ... وذهب ملتبها في الإسلام بنسب الملائكة ..

• وبعد الفتح أسلم فضالة بن عمير وكانت له هبات في جاهليته مع السماء فمر بأسرة لها معه شأن فلما رآته قالت :

هلم إلى الحديث .

فانبعث يقول :

قالت : هلم إلى الحديث فقلت لا

يا أبا عبيد الله والإسلام

لو أن رأيت محمدا وقبيله

بالفتح يوم تكسر الأصنام

لرأيت حين الله أحسن بيننا

والشرك يفسد وجهه الإخلاص

• وبعد حين توزع الغنائم والأموال فأقبل رؤساء القبائل وأولو التهمة يتسابقون إلى أخذ ما يمكن أحده وشاع في الناس أن محمدا يعطي عطاء من لا يخشى الفقر... فازدحموا عليه يبتغون المزيد من المال ، وأكب الأعراب عليه يقولون : يا رسول الله أقسم علينا فينا، حتى اضطرروه إلى شجرة فانتزعت رداءه فقال:

«يا أيها الناس ، ردوا على ردائي ، فوالذي نفسي بيده لو كان لكم عندي عدد شجر تهامة نعمة فقسمت عليكم ، ثم ما ألتيموني بخيلا ولا جبابا ولا كدابة وكادت أعين الناس تخرج من مهاجرهم تطلعا إلى الدنيا ، زيتها ..

لقد كانوا منذ لحظات هم القاريون من الميدان ، فما بالهم عند شهوة المال قد تحموا واضطفوا

وحرم الانصار من هذه الغنائم ، وهم الذين نودوا وقت الشدة فطروا يقائلون مع رسول الله ﷺ . حتى تبدل الفرار انتصارا وهامهم يرون أيدي القاريين تموء بالغنائم ملأى .

ومضى سعد بن عبادة زعيم الأنصار يقول القوم : لقي والله رسول الله قومه ...

وسأله الرسول : فأين أنت من ذلك يا سعد ؟ قال : ما أنا إلا امرؤ من قومي ،

فأمره الرسول بجمع القوم ويخطب فيهم قائلا : «يا معشر الأنصار ألم أنكم ضللا

فهداكم الله وعالا فأغناكم الله ، وأهداء فألف الله بين قلوبكم ٩٩٩ قالوا : بلى قال :

ألا نحبسون يا معشر الأنصار ؟ قالوا الممن لله ورسوله قال : والله لو شئتم لمقلتم

لمصدقكم ومصدقكم : جئتنا طريداً قاصدينك ومجانلاً فأسياك وخائفاً فأمياك، وحذولاً  
فمنصرتاك : فقالوا إلى الله ورسوله .  
فقال : أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يلعب الناس إلى رجالهم بالشاة واليعير  
وتذهبون برسول الله إلى رجالكم ؟ فوالذي نفسي بيده لو أن الناس سلخوا شعبا  
وسلكت الأنصار شعبا ، لبذكت شعب الأنصار ، ولو لا الهجرة لكنت أسرا من  
الأنصار .  
اللهم أرحم الأنصار ، وأبناء الأنصار ، وأبناء أبناء الأنصار . فبكى القوم حتى  
أخضلوا لحاهم ، وقالوا :  
رغبنا يا الله ويا رسول الله فما تم انصرف فنفركوا ...  
تفرقوا لتجتمع لنا صورة هذه التماذج البشرية الفريدة رجال عفيفين بحق ..  
قامت على تضحياتهم الرسالة بتجردهم ، وعلومهم على الشهوة غلبهم الخبز  
الأولى من الله .

\*\*\*

## نقوس خنجر المعصية (نقوس تخطأ ورب خفور)

الحقيقة الحقيقية:

\* إذا انحورت النفس من داخلها انحورت الحياة من حولها لأن الحرية كل لا يتجزأ ، وبهذا التصور فإن المؤمنين الصادقين هم الأحرار الحقيقيون وعلى مدار التاريخ واجبه العلماء الشر حينما انحورت أنفسهم ، وذلك لأنهم ملح الأمة ، وإذا فسد الملح فساد الماء الذي يصلحه ؟ ويمثل الغزالي هذا البيت :

يا معشر العلماء يا ملح البلد

ما يصلح الملح إذا الملح فسد

وعند هذه الحرية أقيم الموعود من أمور الأمة ، هذا صميم الخطاب يقول يوما على منبره : أيها الناس من رأى منكم في أعوجاجا فليقومه . فليجبه أحدكم : لو رأيتك أعوجاجا لقومناه بحد سبوتنا ، فلا يزيد أن يقول :

الحمد لله الذي جعل في أمة محمد من يقوم أعوجاج عمر بسيفه .

\* فعندما يتحرر الإنسان من داخله ويتخلص من سطوة المعصية يصبح عبدا لله فهو القائل في كل يوم واليلة :

﴿ يَاكَ نَعِدُ وَيَاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ القائمة / ٥ .

وبهذا الانتصار على المعصية يواجه المسلم الحياة حراً ، حاكماً أو محكوماً فيجود للمجتمع المسلم إشراقه وبهاؤه ، وكفى أن الله يحدد هذا الانتصار بأن يستخلصه ويصلحه صنعاً ويترقى بسلوكه في القرب منه سبحانه حتى يحبه ، وما كان عطاء وبك محظوراً .

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل قال :

\* إذا تقرب العبد إلى شبراً تقربت إليه ذراعاً ، وإذا تقرب إليه ذراعاً تقربت منه باعاً ، وإذا أتاني مشى أتته هرولاً ( البخاري ) .

ويقول رسول الله ﷺ :

\* إن الله تعالى قال : من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب ..

وما تتركب إلى عيدي بشر الحب إلى بما الترفيت عليه..  
وما يزال حدى يتغرب إلى بالنوافل حتى أحبه..  
فإذا أحبه كنت سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به، ويده التى يبطش بها، ورجله التى يمشى بها ...

ولكن سألنى لأعطينه، ولكن استعاضنى لأعطينه «البخارى»

**بين الطاعة والمعصية :**

الطاعة من هذه الإيمان، فينمو ويزدهر ويهتز، كزروع أخرج شطاءً فأزروه فاستغلظ فاستوى على سوقه.

وحياة الطاعة هي حياة النقاء، ولذلك كان من السبعة الذين يظلهم الله في ظله « وشاب نشأ في عبادة الله».

أى في الطاعة ودوام عليها واستمر في حياتها، أما المعصية فهي السم القاتل الذى يفتن الإيمان ويدهره فإفانيتها وهره يفتنى، وإذا تمره يفسد، وما يزال البعد في الخطيئة والسير على طريق الشيطان في المعصية حتى تقيب شمس إيمانه ... ثم يضيع إيمانه ويذهب بقيته .. فهلك.

أما الصالحون فحالهم تعرض لهم الخطايا في طريق الإيمان كهفوات عارضة سرعان ما ينهضون إلى محيط الطهر ليختسروا فيشطوا في خطه، يقول تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ مُنَافِقٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾ (الأعراف: ٢٠٦).

**• ( منافق من الشيطان ) •**

لهي عارضة خفيفة لأن الصالحين سرعان ما يندمون ويتعاهدون مع الله على عدم العودة لمثلها وذلك شأن المتقين، فما للشيطان على المتقين من سبيل.

**• ( فإذا هم مبصرون ) •**

فسرعان ما تنكشف الحجب عن القلب وسرعان ما يتنبه كذلك للخطر، فلا بأس بأن يكيو الإنسان ثم ينهض منها سريعاً فلا يتغنى له إذا زل مثلاً زلة خفيفة أن يتوقف عندما يتجمد بل يتجاوزها سريعاً لاستئناف سيره إلى الله.

وهكذا القرآن يفتح أمام هذا الشخص الطريق إلى ربه ليسمى إليه غفياً نشيطاً ويقوده برفق ولناة حتى يجتاز الزلقة، فإن مس الشيطان عسى « وإن تذكر الله يبصار، وإن مس الشيطان ظلمة، وإن الاتمها إلى الله هو النور...».

**مؤلف العبد المخطئ :**

هو كما جرت عادة الناس بأن يحتلر المخطئ لمن أساء إليه فيقبل اعتذاره .. فما

أجدر أن يهاجر الخطايون بالتوبة إلى ربهم وما أقبح أن تتراكم العثرات فلا تحموا  
نوياتهم..

❖ وكلما كان الوقوف على باب الله وأعنايه أطول كان أرحم لقبوله يقول  
الشاعر:

أشقى بذى العسير أن يحظى بحاجته

ومسدم القصر للابواب أن يلجأ

❖ أمام هذه الوقفة الدلالية برحم الله العبد ويجبر الضمير ويقول لصاحبها:

« أخطأ عبدي وحلم أن له رياء يقفر الذنب أحمل ما شئت فقد غفرت لك ».

❖ وهنا يتصور العبد على المصيبة والشيطان ، حينما تفتح أمامه أبواب الأمل في  
عفو الله وحسنه فلا تدل له هامة ، وما ينبغي أن تدل هامة أو تمنحني قامة ولنا رب  
صفوح غفور...

يقول تعالى: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ  
يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (٥٤ : ٥٣) ، الزمر / ٥٤ : ٥٣ .  
❖ ﴿ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ ﴾ .

الذين هم الذين أكثروا الذنوب والآثام ،

هل يترك هؤلاء صرعى الخطايا والمعاصي ؟

أم أن هناك علاجاً لهجر طوعهم ؟

❖ ﴿ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ﴾

إنها الرحمة وفتح أبواب الأمل برحمة الله أوسع من هذه الذنوب ، متى خلعت  
النية واستشعر المحطى الأسى على ما فرط في جنب الله .. وإنها الدعوة للأوبة  
ودعوة العصاة المرفين الشاردين ، دعوتهم إلى الأمل والرجاء والتفقه بعفو الله...  
❖ ﴿ وَالْيُودَى إِلَى رَبِّكُمْ ﴾

أي تداء وطيب ذلك النداء ، فما أروع هذا الباب الذي لا يمنع داخله والذي لا  
يحتاج إلى استئذان ، الإنابة والإسلام هذا هو كل شيء ، بلا طقوس ولا مراسم ولا  
حواجز ولا وسطاء ولا شفعاء.

إن الله يطلب منهم سرعة العودة إلى رحابه قبل أن يجندهم الشيطان .. سبحانه  
الله... يطلب المعصاة قبل أن يطلبوه ويمد إليهم يده قبل أن يسألوه .. وكلما قبل :  
« يتحجب إليهم بالنعمة وهو الغنى عنهم » ويتبخسون إليه بالمعاصي وهم أفقر شيء

إليه ، خيره إليهم نازلاً وشرهم إليه صاعداً ، من أقبل على الله منهم ياداه من بعيد ، ومن أخرج عن تادله من قريب .  
 \* ومن الخبير العليم بحال الإنسان وضعفه وحصل الشيطان وكيد حاسد هذه الكلمات تشقود النفس من كثرة المعصية وتستأنف بصاحبها السير بعد القعود ..  
 تسليلاً ، تخفيفاً ، سعيلاً ، فرحاً .

(١) أسرفوا .

(٢) لا تفتنوا .

(٣) إن الله لا يقدر التوبة جميعاً .

\* يروي الإمام ابن كثير عن سب نزول هذه الآية :

أن رجلاً جاء إلى رسول الله فقال :

« إني رجل كثير الغفوات و الفجرات فهل لي من توبة ؟ فكت رسول الله حتى نزلت هذه الآية ثم قال له :

ألمن تشهد أن لا إله إلا الله ؟

قال : بلى وأشهد أنك رسول الله .

فقال له الرسول الكريم :

قد غفرت لك غفرتك وفجراتك وفجراتك ..

ثم يعلق الإمام ابن كثير :

« هذه دعوة لجميع العصاة إلى التوبة والإنابة » فهل يستطيع أحد أن يخلق أرواح الله المفتحة ... ؟؟

ولكن هل جميع العصاة يعودون ويتوبون إلى الله ؟ .. فالنفوس لها أحوال عند التوبة وليكن ذلك موضوعنا اللاحق إن شاء الله ...



## نفوس عند التوبة

وتقسم إلى :

١- نفوس تمأخر بالمعصية فهم على خطر شديد لقوله ﷻ : ﴿ كل أمي معافي إلا المحاهر ﴾ فكما أن الله غافر الذنب وقابل التوب فهو شديد العقاب لقوله تعالى : ﴿ نزل عبيدي إني أنا العفو الرحيم ﴾ (١) وأما صلابي هو العذاب الأليم ﴿ (١) الحجر : ٤٩ ، ٥٠ 》

٢- نفوس تتوب ثم ترجع إلى الذنب ثم تتوب وهكذا .. فهذا إن كانوا مصوبين على المعصية مع التوبة ، لأن هذه التوبة مرفوعة لأن شرطها الإقلاع عن الذنب والعزم على ألا يعود إليه .. فهم كالمستهزءون بهم و الفرق واضحاً بينهم وبين من يحقق شروط التوبة الثلاثة :

• ١- الندم .

• ٢- الإقلاع عن الذنب .

• ٣- العزم على عدم العودة إليه .

يقول ابن القيم ( المدراج ١ : ١٨٢ ) : « فحينئذ يرجع إلى العبودية التي خلق لها ، وهذه الرجوع هو حقيقة التوبة »

٣- نفوس تزخر التوبة حتى يأتيها الموت ثم تحاول أن تتوب مع الاحتضار لكن جيهاً .. فهذه توبة مرفوعة ، لقوله ﷻ :

« تقبل توبة العبد ما لم يفرغ » أي يحضر ويعالج سكرات الموت .. يقول تعالى :

(١) ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ

لَمْ يَرْوُوا مِنْ قَرِيبٍ

فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً ﴾ (٢)

وليس التوبة للذين يعملون السيئات

حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن

ولا الذين يسوفون وهم كفار أولئك أعندنا بهم عذاباً أليماً ﴾ (النساء : ١٧ ، ١٨) .

(ب) ... ﴿... كُتِبَ عَلَيْكُمْ عَلَى نَفْسِهِ التَّوْبَةُ﴾  
 أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ  
 فَأَنَّهُ غُلُوبٌ رَحِيمٌ ﴿٥٤﴾  
 وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ (الأنعام: ٥٤-٥٥)

وقفات مع التوبة:

وأمام هذه الآيات الكريمة نلخص النقاط مع التوبة:  
 ١- ﴿بِجَهَالَةٍ﴾

أي بطيش واندفاع وهي هنا جهالة العمل وإن كان عالماً بالتعصيم، وكل من حصي الله فهو جاهل، فهي إذن زلة عارضة طارئة لم يرتب أسرها وصد الجهالة المروية وعلمها تقع المصيبة بمرورية يعني ذلك الترتيب والاستعداد وتمكينا من نفس صاحبها، ويكون في هذه الحال ليس بجهالة بل هو أصيل وقبول التوبة عن الأول يرجى أما الثاني: فهو مرتبط بفضل الله إن شاء قبل وإن شاء وفطن.

٢- ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ طَرَفٍ﴾

﴿ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِ﴾ ...

فالتوبة المقبولة هي التي لا تسويف فيها ولا تأخير بل تكون عن قرب لأنه يدل على الحياء ورقة الشعور أما التسويف فهو يدل على الغفلة والغلظة. يقول ابن القيم: «إن المبادرة إلى التوبة من الذنب قرينة على القبول ولا يجوز تأخيرها، فمضى آخرها حصي بالتأخير، فإذا تاب من الذنب بقي عليه توبة أخرى وهي توبته من تأخير التوبة».

٣- ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ ..

هو بمثابة إنذار موجه إلى العباد بأن يجعلوا توبتهم مخلصه صادقة لأنهم أمام رب عليم بمواطنهم «غيلة أنفسهم» حكيم لا يخطئ حكمته جزافاً، بل لمن أقبل عليه بصدق وإخلاص.

٤- ﴿... وَأَصْلَحَ﴾ ..

بعد العلماء أن من شروط التوبة أن تستقيم حياة التائب بعد التوبة وأن يمارس الإصلاح في الحياة.. أي بعد التوبة تغير في حياة التائب من الإصلاح إلى الإصلاح .. إنها توبة عملية يترجم فيها القول إلى عمل وممارسة أما التوبة النظرية وإن تشددت بها الأئمة أثناء الليل وأطراف النهار فما هي إلا كلام ولا صلة لها بالقبول. ومع الرخص الصريح فتوبة المسوفين حتى الممات لأنهم لم يتجهزوا الفرصة في



حينئذ ، وذلك لأنهم قد عرفوا في بحر الشهوات والخطايا، جاء شرط الإصلاح وأن يكون التائب خيراً مما كان قبلها ، وبذلك حتى لا يزال الخوف مصاحباً له ، لأنه لا يأمن مكر الله طرفه عين ، فخوفه مستمر إلى أن يسمع قول الرسل لقيطس ووجهه : ﴿ إِنْ لَا تَخْلُفُوا وَلَا تَهْزُوا ، وَابْشُرُوا بِالْحَيَةِ الَّتِي تَكْتُمُ قُلُوبُكُمْ ﴾  
فهناك فقط يزول الخوف ، فلا يزال التائب في كسرة وذلة وخضوع حتى يشتد من الله قرأاً وعن المعصية ويجوعاً بعداً .

﴿ وَفَنَاتٍ أُخْرَى :

يقول الله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً

أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ

ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ

وَمَنْ يَغْفِرَ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ

وَلَمْ يَصْبِرُوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ ( آل عمران : ١٣٥ ) .

﴿ فَأَحْسَنَ ... ﴾ هي الذنوب الغليظة البشع ومع هذا فإن التوبة النصوح تغفرها .

﴿ طَلَبُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾

ليس هذا قس من رحمة الله بنا فهو سبحانه يغضب علينا حين نطلب أنفسنا ، فسبحان الله .. قاله أرحم بنا من أنفسنا .. نطلب أنفسنا فيغضب وبنا ويعاقبنا ... وتنصفها فيرضى عنا وشيئنا ، كما يقول الأب الشفوق لولده : لا تعبت حتى أحبك .. وهو سبحانه أرحم بنا من الوالدة على ولدها .  
﴿ ذَكَرُوا اللَّهَ ﴾

دليل على بظنة قلوبهم وحياتهم فهم بمجرد صدور الخطيئة يتذكرون الله ، فما زالت شعلة الإيمان تضيئ قلوبهم ، فيذكرون ربهم على الفور .  
﴿ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ ﴾

والغناء تفيد الإسراع في التوبة وتؤكد أن ضمائرهم حية وأن ضميرهم رفيق لأنهم يدركون بشاعة المعصية وأنها فيجبون مغفرتها وسرها .  
﴿ وَلَمْ يَصْبِرُوا عَلَى مَا فَعَلُوا ﴾

فالتواضع طارئة عليهم ، لا يفتأون يتذللونها بعيناً عنهم ، وبعدم الإصرار بتحقيق شرط التوبة ، فإن الإصرار هو الاستقرار على المخالفة وذلك كما يقول الإمام ابن القيم ذنب آخر لعله أحظم من الذنب الأول بكثير وهذا من عقوبة الذنب أنه يوجب

ذنباً أكبر منه ثم الثاني ثم الثالث حتى يستحكم الهلاك.

﴿وَمَنْ يَطْمَئِنْ﴾

فشرط المزاينة هو علمهم بالحرام فمن مارس حراماً وهو لم يعلم به فلا شرب عليه ، رحمة من الله والعمل ، ولكن اليوم وقد انضح « الحلال بين والحرام بين » ، فقد تحقق العلم به فلا مجال هنا لك من الهروب من التوبة وتحقيق شروطها .

﴿وَأَخِيرًا﴾

عجيباً من هؤلاء الذين رأوا ذلك ولم يتوبوا بعد أن قال الله :

﴿إِنَّمَا مِنْ قِابِ

وَأَمِنْ

وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا

فَأُولَئِكَ يَهْدِي اللَّهُ سَبِيلَهُمْ سَبَاتٍ

وَتَمَّامَ اللَّهُ فَتُورًا وَحِيمًا﴾ (الفرقان: ٧٠) .

قال ابن عباس رضي الله عنهما :

« ما أهدى النبي خلقه قرحاً بشئ قط فرحه بهذه الآية لما أنزلت » .

★★★

## التائبون

التوبة المقبولة دائماً ما يصاحبها الدّل والالتكسار ، والله سبحانه أقرب ما يكون إلى عبده عند ذلّه ، وانكسار قلبه ، كما في الأثر :

« يا رب أين أجذك ؟ قال : عند المتكسرة قلوبهم من أجله »  
ولأجل هذا كان : « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد »  
لأنه مقام ذل وانكسار بين يدي ربه .

« ولنا في لدوتنا حكمة عسير الأسوة فهو المؤيد بالوحي ، الذي لا ينطق عن الهوى ، المحصوم من الخطأ ، الذي أدبه ربه فأحسن تأديبه ، كان لا يقنأ يستغفر ربه ويقول :

« يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه فإني أنوب إليه في اليوم مائة مرة » .  
« ومنذ أن خلق الله الأرض ، وكلف فيها الإنسان بجهنمه واستخلفه في الأرض ... وبرزت قصة الصراع بين الشيطان والإنسان ، وإنها معركة بين عهد الله وغواية الإنسان ... ومن خلالها برزت الفكرة عن التوبة حينما ينسى آدم عهده ويضعف أمام الغواية ... ويصرخ الله بقضائه ينزول آدم إلى الأرض ...  
وكادت المعركة بين الإنسان والشيطان أن تكون لأخر الزمان دون توبة ، لولا قيام آدم عليه السلام من عثرته و توبته بعد خطيئته ، فأدرك الإنسان رحمة الله الواسعة .  
﴿ فخلقني آدم من رثته كلمت فتاب عليّ إنه هو التواب الرحيم ﴾ ( البقرة : ٢٣٧ ) .  
وفتح باب لا يغلق أمام التائبين من أخطائهم ، ومضت فكرة الإسلام عن التوبة ، فالخطيئة مفروضة على الإنسان قبل مولده - فخطيئة آدم شخصية والخلاص منها بالتوبة المباشرة في يسر وبساطة ، وخطيئة كل ولد من أولاده مثلها ، والطريق مفتوح للتوبة في كامل اليسر والبساطة ، تصوره مريح وصريح يحمل كل إنسان وزره :  
﴿ إنا لله تواب رحيم ﴾ ( الطلاق الجزء الأول : ص ٦١ ) .

« وهذا أبو لبابة و توبته المشهورة التي شغلها الله من السماء والرسول ﷺ على الأرض ، حينما أخطأ يقول : هو الله ما زالت قدمي عن مكانهما حتى عرفت أنّي غنت الله ورسوله وحقه نزل :  
﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تخوفوا الله والرسول

وَتَعْمَلُوا أَمَانَاتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ (الأنفال: ٢٧).

ولقد حزن الرجل على موقعه فربط نفسه في سارية المسجد لا يأكل ولا يشرب حتى يموت أو يتوب الله عليه وطلست ليل على هذا الحال لا يفك نفسه إلا ليصلي ثم يطلها من جديد..

ثم نزلت نوبته من السماء.. لأنها زلته نفس، صاحبها حمزي، وأعليها ندم، فذهب الرسول ﷺ إليه وهو خارج لصلاة الصبح، ولتلك وثاقه وبشره، وبثلا عليه الآية: ﴿وَأَخْرَجُوا عَنْهُمْ أَهْلَ عَمَلِهِمْ سَبْعًا وَسَبْعِينَ أَلْفًا أَلْفًا أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ...﴾ (التوبة: ٦٠٢).

وذهبت نوبة الثلاثة الذين تخلفوا عن تبوك، بفسرب بها المثل كلما تحدثت سمعت من الثالوثين: فقد كان أمرهم موكلوا إلى الله، لم يعلموه ولم يعلمه الناس بعد، وهم: مرارة بن الربيع، وكعب بن مالك، وهلال بن أمية، الذين قعدوا عن غزوة تبوك، كسلاً وميلاً إلى الدعة والعلل، في حر الهاجرة.

وهذا كعب بن مالك يروي ما حدث له حينما تخلف بلا عذر، وبعد أن جاء بضع وثمانون رجلاً يأخذونهم فاستغفروا لهم الرسول، ووكل سرائرهم إلى الله، حتى جاء كعب: قال رسول الله ﷺ: ما خطبكم؟ ألم تكن قد اثثرت ظهرك؟... فقلت:

يا رسول الله والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرايت أني سأخرج من سخطه بعذر، لقد أعطيت جدلاً، ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب لرضي عني به ليو شكن الله أن يسخطك علي، ولئن حدثتك بحديث صدق تجهد علي فيه، وإنني لأرجو فيه عفي من الله، والله ما كان لي هنر، والله ما كنت قط أتري ولا أيسر مني حين تخلفت عنك.

فقال ﷺ: أما هذا لقد صدق، فقم حتى يقضى الله فيك فقامت.

ثم نهى رسول الله ﷺ عن كلام الثلاثة، فاجتنبهم الناس، وتخبروا لهم، حتى تنكرت لهم في نفوسهم الأرض، وأمرهم الرسول بأعزال زوجاتهم، وظلوا خمسين يوماً يعلون الفجر على ظهر بيوتهم... حتى جاءتهم البشيرة بعد بنگاه شديد وتترك كعب بن مالك يروي لنا ما حدث يقول:

«فبينما أنا جالس على الحلال التي ذكر الله هنا، قد صاغت على نفسي، وصاغت على الأرض بما رحبت، سمعت صاعجاً: يا كعب بن مالك أبشر... فحزرت ساجداً وعرفت أنه قد جاء الفرح، فأذن رسول الله ﷺ بنوبة الله علينا حين صلى

المعمر « فذهب الناس يشروننا » . ويعصى واكضاً في الطريق، تهته أرواح من المسلمين بالتوبة قائلا: ليتهنك .. توبة الله عليك .. حتى يهته الرسول « وقد استدار وجهه قمرًا من شدة البرور قائلا :  
 « أهنر بهير يوم مر عليك « مبد ولدتك أمك » .  
 فقوله تعالى : ﴿ ... فم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم ﴾  
 (التوبة : ١١٨) .

\*\*\*

## فرداء إلى النفوس

هو بعد أن تكشف حقائق النفوس كما هو عليها القرآن وبيتها السيرة...  
لنا أن نسأل أنفسنا ؟ أي نوع من هذه النفوس يا ترى ما نحصل من مشاعر  
وأحاسيس وعمل وحركة وقول وفعل ؟  
فهنا نلحظ كل منا يتضح نفسه ليقوم الموعز منها ويثبت على الصالح فيها بل  
ينمي ويتعمده بالرعاية...  
إن قضية التغيير المنشودة والتي يسمي إليها صاحبو الأمة دوما هي من النفس  
تبدأ...

إن تغيير هذه الجاهليات في الطباع والأخلاق والشرائع والنظم والعادات و  
التقاليد على مستوى الأفراد والمجتمعات لن يتحول ولن يتبدل إلى استئناف  
الإسلام إلا حينما تقوم نفوس كبيرة تمثل فيها صفات القرآن وأعمال الصالحين  
الأنبياء المجاهدين... فتتحيا من جديد على طريق الإسلام فسمائر كضمانر الأوائيل  
السابقين... يعيدون المجد الضائع ويعيدون للأمة وجهها المشرق الوضاء ويعيدون  
حيوس الأهم من تباطؤ الرجال وغواء النفوس.

• هذه النفوس لا بد وهي تتحرك أن تنظر دوما إلى الأعصر... فهي  
الحياة الحقيقية فلها نسمي وتتحرك وتعمل وتنشط فتحرك الأخيرة في داخلهم حياة  
الإسلام ، ليحيون في أوساطهم مجتمعا مسلما يشتر بقدم الدولة المرتقية...  
فمنذ أن حاجت الريح على اللحنس البيضاء المعلقة على أعمدة الكهرياء في  
شوارع تركيا بأمر أتاتورك إذانا بسقوط الخلافة الإسلامية والمسلمون يتقلبون في  
أخطاه تلو أخطاء... ولكن قام للباطل حماة حق واجهوا الشر ، يحذوهم أمل وثقة  
وتظرة ثابتة إلى الأخيرة ، فنهضوا بلا إله إلا الله... فحملوا ما حملوا فممنهم  
من قتل ، ومنهم من سجن ومنهم من نفى وشره.

فقد ظن الباطل أنهم ينتهون بهذه الأساليب ، فقد نسي أن هذه النفوس تحيا  
وتتجدد وتنهض من حين إلى حين باذن ربها ﴿... وما يعلم جنود ربك إلا هو...﴾  
المطور / ٢١.

• وكذلك على هذه النفوس وهي تؤثر الأخيرة ألا تركزن إلى الدنيا

لهي دأؤها وبها هلاكها وعليها أن تزهد في الدنيا فيقدر الزهد فيها يكون الرقي والعلو عند الله وفي ميزانه... وأن تزهد فيما عند الناس ، فزهد عندهم فبولاً ، مما يسر لها أن تقوم بمهمتها التي كلفها الله بها من دعوة الناس إلى الخروج من الشرور والجاهليات إلى شاطئ ونور رب العالمين ،

• وعلى هذه النفوس وهي تقوم بمهمتها في الدعوة إلى الله والجهاد في سبيله والانطلاق بما تحمل من خير ، أن تنقل هذا الخير إلى قلوب الناس لتصل بربها ، بل تتمهدها بالسقاية حتى التمام والنضج ، في جماعة متراعة قوية فلا يكون للشيطان عليها من ميل ،

• وعلى هذه النفوس كذلك ، أن تتعاون مع غيرها في مسودة عضوية متلاحمة متصهرة ، فلا يكونوا مجموعة نفوس بل نفساً واحدة ، فتلتقي على قلب واحد ، فهم واحد ، عقل واحد ، هدف واحد ، سبيل واحد ، لرب واحد ، وب نظرة موحدة إلى قاعدة الأرقام الدينية : (إن الأرقام كثيرة ، ولكنها بمجرد ما لا تنفع ، ولا يتحقق بها نفع إلا حينما تتجمع وفق قانون دقيق لتأتي لما ينتجها صائبة) .

فالمسلمون كذلك ، متفكرون لا يصنعون هدفاً ولا تتحقق بهم نتيجة ، وإن قيام الإسلام واستتافه والعودة بالخلافة المفودة لهدف عظيم ولا يتحقق إلا بنتيجة هي عينها نتيجة الأرقام المتفرقة حينما تتجمع وفق قانون دقيق بنظام أدق فتحقق بذلك هدفاً مدروساً ،

لأن أراد هذا الجيل أن يستأنف الدين من جديد ، فلينتجه إلى نفسه يبدأ عندها ، مؤشراً الأخيرة ، غير عابئين بالدنيا ، قائماً بمهمته ، فحسبه الجمة المطيبة ، في أي مكان ما دام على الحق ثابتاً وفي الصف عاملاً ومع المؤمنين وركبهم الموصول متمسكاً .  
فما بدأ أحسن التقارير..

محاولاً .. مجاهداً .. قائداً لنفسك ..

وأعلم أنك كلما ارتفعت خطوة انفتحت الأمة لخطواتك .

غنقس الأمة لحيا بنفوس العالمين...

ولئن تحقق ذلك ، فليتها من يشري ،

فقد فتح الطريق من جديد غضا حيا بالسالكين والسافرين .

محموراً بالمجاهدين بعد انقطاع ..

وعندها يهرب الشيطان بركبه ..

وينهار الباطل بزيقه ..



وهمته يفرح المؤمنون بنصر الله .  
ألا بنصر الله تعظم بين القلوب .. إن نصره اقرب فريد .  
وعلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

\*\*\*



## ثانياً ، تربية النفوس

### لماذا تربية النفوس؟

• أه ... من النفوس كم أودت بالكثيرين فحرم منهم من أحلى حياة للإنسان على الأرض، حياة الطاعة والتقوى والطهارة!

• أه ... من النفوس كم رقت الكثيرين من إيمانهم فحرم منهم من أجمل علاقة لم يرجوه علاقتهم بالله رب العالمين!

• وهنبأ لأصحاب النفوس الكبار الذين هممنوا جنات عدن وقرء أمين جزاء بما كانوا يعملون.

والله من وراء القصد،

## ١. قربة النفوس

يقسمون تعالى: ﴿ ونفس وما سواها ﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿ الشمس / ٧ : ٨ ، ويقول تعالى: ﴿ قد أفلح من زكّاه ﴾ وقد حاب من دناها ﴿ الشمس / ٩ : ١٠ ، وكان من دعائه ﷻ : اللهم آت نفوسنا تقواها وزكها أنت خير من زكّاها أنت وليها ومولاها ، وفي نهاية ما كتبه عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص وحده: ( اسألوا الله العون على أنفسكم كما تسألونه النصر على عدوكم، أسأل الله ذلك لنا ولكم ) .

• ولذلك كانت تربية النفوس من سلوى المؤمنين ونجواهم فحافظوا على اللجوء إلى ربهم والذكر والعمل الصالح والاستئناس بالقرآن الكريم، يقول تعالى: ﴿ ولقد علمت أنك ضعيف صدرك بما يقولون ﴾ فسبح بحمده ربك وتمن في الساجدين ﴿ واحد ربك حتى يأتبك القرن ﴾ اخضر / ٩٧ : ٩٩ ، وليس الأمر فيما يعانيه الإنسان بل في كل أمور، حتى دعاة الخير وهم يعملون، فقد جاء في الأثر الإلهي (أوحى الله إلى عيسى بن مريم: يا عيسى عظم نفسك بحكمتي فإن الثفتت لعظ الناس وإلا فاستع مني ) ، ومن على بن أبي طالب رضى الله عنه لما كان يوم بدر قاتلت شيئا من قتال ثم جئت إلى رسول الله ﷺ أنظر ما صنع، فجئت وإذا هو ساجد يقول: يا حي يا قيوم ، ثم رجعت إلى القتال ثم جئت، فإذا هو ساجد يقول فلتكده ففتك الله، وصار لنا فيه أسوة حسنة ﷻ من أباد الفتح فعلية بنفسه ولا ينسى تربيتها حتى ولو كان في مواطن الجهاد.

• وقد تجنح النفس ببعض الناس إلى الأسى والهم والحزن فزوال تيسير أو غرق حبيب، وحتى لا نفوس في بحور الوهم، فتربينها هنا هو الإرتفاع بها إلى حالها تستمد منه العون والقوة، في حياة الصحابة ٦٦٨ / ٣ قصة عوف بن مالك الأشجعي حيث جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إن ابني أسره العدو وحزنت أمه فماذا تأمرني؟ قال: أملك وإياها أن تستكثرا من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله، فضالت المرأة: نعم ما أمرك . فجعلوا يكثران منها فتفتل منه العدو فاستاق غنمهم فحاء بها إلى أبيه فترلت: ﴿ ومن يقر الله يفتل له مخرجا ﴾ الطلاق / ٦ .

• تربية النفوس هي صلاحها وإصلاحها، وهي طهارتها وتقويتها، وهي تركيتها وجهادها، وهي تهذيبها وتقويتها، وهي ثرويتها ومجاهدتها. وجماع ذلك كله في قولهم: (حاسبوا أنفسكم قبل أن تموتوا) مصداقاً لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ مَا قَدْ خَلَتْ لِقَدْ وَأَقْفُوا إِنَّ اللَّهَ سَبِيرٌ بِمَا تَصْمَلُونَ﴾ الحشر / ١٨، ونصار تربية النفوس تراها في الانتصار على الكبريات والمكائيل، تراها في الثبات عند المحن والابتلاءات، تراها في تحصيل الرزق والعلم، تراها في فتح أبواب الإيمان والتقوى والمعرفة بالله تعالى، فإن من انتصر على نفسه كان على غيرها أقدر، ومن انتصر على نفسه أمس بتيانه على أصل ركنين لا يابسه بمواصف ولا يتأثر بأعاصير، طالع الفلاح بكل الفلاح في تربية النفوس، يقول تعالى: ﴿... وَمَنْ يُولِ شَيْءٌ فَلْيَفْلَحْ فَاُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الشورى / ١٦.

\*\*\*

## ٢. تصفية النفوس

قديماء قالوا: التخليّة قبل التحلية، وصارت فاعلة في التعامل مع النفوس، فلمّ لا تكون البداية بتصفية النفوس من العيوب؟ سواء كانت في مأكّل أو مشرب أو منبس أو مركب أو مسكن أو كانت في زيجات أو زينات أو متعاش أو شهوات.

• وتبدأ تصفية النفوس بمعرفة العيوب، واكتشافها وإظهار عيوب الآخرين، فما أعطى منها من مهمة أن يبحث كل منا عن عيوبه ليصفيها ويسعى في التخلص منها، وهو أعلم الناس بها، لأنها واقع في حياته يراها في حركته وسكنته، ويسمعها في خفقه وجلوته، فلماذا نبحث عن عيوب غيرنا ونترك عيوبنا؟ وهذا أول الطريق في التعامل مع النفوس. يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِكَ بَصِيرَةٌ ۝ الْقِيَامَةُ ۝ ١٤﴾ يقول فتادة في تفسيرها: إن الإنسان شاهد على نفسه بصيراً بعيوب الناس ودنوبهم خافلاً عن ذنبه.

• قالوا: (إن الله يطالبك بالاستقامة ونفسك تطالبك بحفظها، ولأن تكون بحق ربك أولى من أن تكون بحفظ نفسك) ما أجمله من قول وما أعظمه من حل لهذه الآلام الذين يتساءلون ويثنون شكواهم. ما لنا نحاول المرات والمرات ونجربنا حظ نفوسنا؟ إننا محجوبون عن الله، يحدون عن ربنا! هؤلاء وأهمون، فلماذا هم وأهمون؟

• والإجابة تقول: إنهم لم يستشعروا الحق سبحانه لأنه محال في حق الله المحجوب فلا يحجبه شيء لأنه ظهر بكل شيء، وقبل كل شيء وبعد كل شيء علا طاهر معه ولا موجود سواه، فهو ليس بمحجوب وليس ببعيد، وإنما المحجوب هو أنت بعيوبك، إن مجردت هذه الشكوى علامة على أن في نفسك شيئاً فعليك إزالته وتصفيته. يقول تعالى: ﴿لَا أَقْسَمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ۝ وَلَا أَقْسَمُ بِنَفْسِي الْتَوَاسُ ۝ الْقِيَامَةُ ۝ ١ / ٢﴾ يقول الحسن البصري: المؤمن ما تراه إلا ويلوم نفسه، يقول: ما أردت بكلمتي، ما أردت بأكثري، ما أردت بحديث نفسي، حتى أن ابن عباس رضي الله عنه أطلق عليها (النفس المذمومة).

• وتصفية النفوس من العيوب مستمرة حتى تحصل على الفلاح ويحقق فينا قوله تعالى في سورة الأعلى: ﴿فَذُقْ أَفْجَعًا مِنْ تُخْمَةٍ ۝ تَتَجَسَّعُ أَسْوَابُ الْإِنْتِصَالِ بِاللَّهِ ۝

بأسسعارك لصفحات الله عز وجل والطريق إلى ذلك كما قال ابن عطاء من (الطائفة  
المتن): «لا تكن ممن يطالب الله لنفسه ولكن ممن يطالب نفسه لربه» بمعنى المعاهدة  
الدائمة للنفس وحسابها واليقظة لعبودها وعلاجها حتى يؤيدك الله بتصفية عيوبك،  
ويوفقك إلى صلاحها، فعليك الاجتهاد وبالله التوفيق ما دام ذلك لربك، وعليك  
الاستمرار على ذلك والثناء على فعله، فإن توقف تحقيق آمالك على صلاح  
نفسك من الله، فليس ذلك استعطاء لطلبك من ربك، وإنما استعطاء لأدائك مع ربك.  
واجتهادك لنفسك، ومحب في نفسك... ألا تتفكر معي أن نقطة البداية هي تصفية  
النفس من العيوب ١.

\*\*\*

### ٣. دور (الشغور)

• دور الشغور في الشعور بالله، ولن يتحقق هذا الشعور إلا بالعبودية الكاملة لله والتي تبدأ من إعلانك الاستقامة الدائم إلى الله، وهو الشعور المستمر بالله وليس عند العجز أو المرض أو الكوارث أو الأزمات أو غير ذلك، هو شعورك بحاجتك الدائمة إلى مولاك، وكلما ازداد الشعور بالفقر والعوز والحاجة زاد الشعور بالله، وهذا هو معنى محققك به (لا حول ولا قوة إلا بالله) بمعنى:

لا حول من معصية الله إلا بالله

ولا قوة على طاعة الله إلا بالله

فلا حركة ولا سكون إلا بالله يقول تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾ النازعات ٤٠ : ٤١ .

• وبما تشعرك هذا المعنى العميق تكون أقرب إلى مولاك، وبذلك تتعرف على صيورك وتخلص منها فيشرية الإنسان هو استشهاده بذاته وينسى اقتضاره إلى ربه، فيظهر ذلك في أخلاق تناقض خلوص العبودية من شهوة المأكول أو المشرب أو المنكح أو حب الدنيا أو الخصب أو غير ذلك من الشهوات، وكلها وهو لا يدري نفسه من قدره وفق هذه القاعدة: (لنفس من النقص ما لله من الكمال) ولك أن تتأمل فيها وتصور نقائص النفس.

• فإن تحرر من هذه الأخلاق كان عبداً خالصاً لمولاه . ومن الأمور التي تفسد هذا الشعور بالله غلبة الهوى عليك، الذي يعنى ويصم، وقد قالوا:

■ لا يخاف عليك التماس الهدى إنما يخاف عليك اتباع الهوى .

■ لا يخاف عليك التماس الحق إنما يخاف عليك جهالة الخلق: ﴿ وإن قطع أكثر من في الأرض يقولون عن سبيل الله... ﴾ الأنعام / ١١٦ .

■ لا يخاف عليك من حفاء أهل الحق إنما يخاف عليك من قلة الصديق: ﴿ ...

فلو صدقوا الله لكان خيراً لهم ﴾ محمد / ٢١ . مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ ... إن

يتجرن إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى ﴾ النجم / ٢٣ .

فلهم يمنهم من الهدى إلا حسن الظن بمسلك سابقهم على الباطل ثم ما تهواه

أنفسهم من ملذات وشهوات وحطوط.

• يقول أحدكم :

لا تتبع النفس في هواها

إن أتبع الهوى هوان

فإذا أراد الله إزاله عبده رقه إلى نفسه وهواه فأحيل عليها ووكل إليها فالهوى  
كما رأيت مختصر من الهوان، ومن دعائه **قُلْتُ** : «إِنْ تَكُنْ لِي إِلَى نَفْسِي تَكُنْ لِي  
طَعَفٌ وَغُورًا وَغُتَبٌ وَغُطِيَّةٌ وَإِنِّي لَا أَتَى إِلَّا بِرَحْمَتِكَ». فبرحمته تعالى هزه عبده  
وعنايته به فإذا تولاه أعطاه، ولم يتركه مع نفسك وهواك، هنالك تستشعر قربه  
وتتعرف على حبك، بعنايته ورعايته وحفظه تعالى.

\*\*\*

## ٤. عيوب النفس

مع هذه العيوب التي لا تنتهي في الإنسان، دللنا خبراء التربية بأصل هذه العيوب التي لا تنهى في الإنسان، فإذا استطاع الإنسان علاج الأصل فلا وجود للزوائد، ولذلك كانت القاعدة: (أصل كل معصية وفتنة وشهوة الرضا عن النفس، وأصل كل طاعة وبطولة وعفة عديم الرضا منك عنها) وقدسمى القرآن ذلك (فتنة القوس) وذلك قس قولا تعالى: ﴿وَلَكُمْ لَمَمَةٌ فَتُنَاجِمُ أَنْفُسُكُمْ وَمَنْ يَصْحَبْكُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِسُونَ﴾ وكانت هذه الفتنة كما في التفسير: بالانصياع لحظها والسير وراء ما تهوى والوقوع فيما حسقته من شهوات وملذات والرضا عن النفس هو استحسنائك لأحوالها، وتغليبك لمساوئها، وكل من اتهم نفسه والساء الظن بها، ونظر إليها بعين السخط، هو الذي بحث عن عيوبها واستخرج مساوئها، يقول أبو حفص الخليلي: (من لم يهتم نفسه على دوام الوقت ولم يخالفها في جميع الأحوال، ولم يجزها إلى مكرها في مبالأها فهو مغرور، ومن نظر إليها باستحسان شيء منها فقد أهلكها)، وكيف يصح لعامل الرضا عن نفسه والله تعالى يقول: ﴿وَمَا أَتَيْنَا نَفْسِي إِذْ الْفُتُورُ بِالْأَمْرِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ يوسف ٥٣.

• ومصورة من يرضى عن نفسه في الحياة صورة مرفوعة فانتقال الحقائق عنده تجعله يظن أنه وصل إلى الكمال فماذا يريد بعد ذلك؟ ومن نظرتة إلى نفسه بأنه كامل تغلب علاقته بالناس إلى علاقة كبر وهجب وغرور، وعلى الناس ألا يخالفوا له رأيا، بل عليهم الاقتداء به بالإيجاب والأخذ عنه بالإكراه، ومن ثم تراه مستهيناً بالمعصية، مستهتراً بالغيب يتابع الشهوات من حب للمدح والتعظيم والتعالي على الآخرين.

أما إذا أراد التخلص من شهواته فلا بد أن يملك الشعور بالله ويستمر في سلوكه حسب الطاعات وأول ذلك عدم الرضا عن نفسه.

• وعلى الإنسان حتى لا تتراكم عليه عيوبه أن يحذر من مصاحبة الذين يرغبون عن أنفسهم سواء كانوا أستاذة له أو قرأنا أو أتباعا أو تلامذة فاشرك على دين خليله،



وبعد الميراث الدقيق ينظر المرء من بصاحب حتى ولو كان صاحب علم أو مكانة، يقول سفيان بن عيينة: «إذا كان ليلى ليل سفيه ونهارى نهار جاهل فمعاذا الله بالعلم الذى اكتسبه وقد استعاذ النبي ﷺ من علم لا ينفع». ولذلك فمن أتم الهم المحفوظة في ذلك: «من أراد أن يتخلص فليصحب من يتخلص» وصحبة من يرعى عن نفسه شر محص ولو كان أعلم أهل الأرض لأن الطباع تمسق الطباع، والجهل الذى يقربك إلى الله أحسن من العلم الذى يبعدك عن الله، ومن عرف (أصل العيوب) تطلب ذلك منه مسيحاً ونشمةً ليسلك طريق البقعة والطاعة، وكان من وصية أستاذ لتلميذه وهو يعلمه هذه الحقيقة: «يا بني كن عين المعنى ولا فتك المعنى».



## ٥. مجاهدة النفس

• من أجل صحة الأعمال لتقبلها الله تعالى، ثم يجعل الجزاء المعيم عليها في الآخرة، تلوم مجاهدة العرس فلا يضع الصالحون في أذهانهم وهو يعملون إلا أمر الآخرة، يقول تعالى: ﴿فَلَا تَقُمْ لِنَفْسِكَ أَهْوَىٰ لَّهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ وَرَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ السجدة / ١٧، ومجاهدة النفس تعني تحقيق شروط صحة الأعمال وهي:

### أولاً: أن يكون العمل صادقاً،

وذلك يشعطي العقبة الكثيرة، فما بعدها أسير، ألا وهي النفس، يقول تعالى: ﴿... وَمَنْ يُؤَلَّخْ نَفْسَهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضِلُّونَ﴾ التغابن / ١٦، وبالإستمرار على النفس تبدأ المجاهدة.

### ثانياً: الجزاء الحقيقي لقبول العمل،

ثم يعمل الإنسان لحض المودة، فأعظم الجزاء على الأعمال أن يتقبلها الله، فإلى جانب عيوب النفس التي لا تنتهي فإن الله تعالى يقبل منا العمل يقول تعالى: ﴿أَوْفَيْتُكَ فَلَمَّا نَقَبِلَ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا...﴾ الأحقاف / ١٦، ولم يقبل الله (تقبل منهم) لأن (منهم) تعني أن أعمالهم كاملة لا عيب فيها ولكن لأنها ناقصة قال تعالى: ﴿نَقَبِلَ عَنْهُمْ﴾ بمعنى تجاوزت عنهم فنتقبل أحسن ما عملوا على عيبيها وآفاتنا وغللها.

### ثالثاً: الإيمان بأن الفضل من الله

فالكل فعله وعطاؤه يقول تعالى: ﴿كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءَ وَهَؤُلَاءَ مِنْ عِطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عِطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ ، ﴿إِنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلَئِنَّ آخِرَ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرَ تَفْضِيلًا﴾ الإسراء ٢٠ : ٢١، فكل الأمور تسير بفضلله وحجده وكرمه ولو عاملنا الله بعبودنا لكانت كارثة، فمن رحمته بنا مع علمه بما هو أخفى من عينا، فإنه يصاحبنا، يقول سهل بن عبد الله رحمته الله عليه:

(إذا عمل العبد حسنة وقال: يا رب بفضللك عملت وأنت أعنت وأنت سهلت، شكر الله ذلك له، وقال: يا عبيدي بل أنت أطعت وأنت تقرئت وإذا نظر إلى نفسه

وقال: أنا عملت وأنا أعلمت وأنا تقررت أعرضني الله عنه وقال له: يا عبدي، أنا وقعت وأنا أعنت وأنا سبيلت. وإذا عمل سيئة: وقال يا رب أنت قدرت وأنت فضيت وأنت حكمت، غضب المولى جلت قدرته عليه وقال: يا عبدي بل أنت أسأت وأنت جهلت وأنت عصيت، وإذا قال: يا رب أنا علمت وأنا أسأت وأنا جهلت أقبل المولى جلت قدرته عليه وقال: يا عبدي أنا غصيت وأنا قدرت وقد غفرت وقد حلمت وقد سترت).

❖ ولذلك إذا نزلنا الله أعطانا وبرحمنا وأكرمنا بنضله وقبضه، ونظر إلينا وذكرنا وفي هذا رفع لعبادنا وتمجيد له، ومن أهمله الله وتركه مع نفسه لا نهاية لقباحه وتقائمه، وكما قيل: (إن كنت بربك تكمل عزك وإن كنت بنفسك تكامل ذكك) . حتى أنه يصح مشلولاً منزلاً صامتاً لا يستطيع أن يراعه الناس ويدعوه إلى الله، والسبب في ذلك اعتمادهم على أنفسهم، كما قيل: (لما اعتمدوا على أنفسهم أصمتهم هفواتهم وإساءاتهم).



## ٦. عادات (النفوس)

• بعض الناس يقولون لى عادات قد تعودت عليها نفوسنا ولا نستطيع التكاثر منها، وقد ألقاها ومن الصعوبة أن تتحول عنها، والعادات قد تكون ظاهرة كالأكل والشرب والنوم واللباس والاختلاط بالناس، والكلام والمخاطبة والعتاب والمصعب والابتذال، ومنها المعنوية كحب الرئاسة والجاه وحب الدنيا والمدح والكر والرياء والطمع فى الناس وخوف الفقر، وهم الرزق والقسوة والعظاظة.

فهل بالفعل لا يمكن التحرر من قبل هذه العادات وهل تطلق النفوس محبوسة بأغلال هذه العادات؟ أم أن النفوس يمكن أن تخترق هذه العادات رغم أنفسها وتغيرها إلى عادات أفضل وألوات أحسن؟

• قيل: [بالرياضات القهرية تحرق العوائد الخسيسة] أى بالحرص والسهر أو قل بالصيام وقيام الليل، وبالخلوة والصمت أو قل بالاعتكاف والسنن والتواقل. مما كتبه أحد العارفين إلى بعض إخوانه: (أما بعد فإن أردتم أن تكون أعمالكم زكية وأحوالكم مرضية فقللوا من العوائد فانها تمنع الفوائد).

• فإذا أردت جنس الفوائد فمخالف نفسك بمعنى أن تخترق ما تعودت عليه النفوس من عادات ومأثورات بأن تجعلها كلها طاعات وعبادات وخدمات وقيل لبعضهم بم أدركت ما أدركت؟ قال: وحدته بأفضل التوحيد، وخدمته بخدمة العبيد، وأعلمته فيما أمرنى ونهى فكلما سأله أعطانى) وصدقته بحكمة أين عطاء: (من خرق العوائد ظهرت له الفوائد).

• ومن عادات النفوس حب الثناء والمدح، فهل يستكمل النفس على النفس بمدح المادحين؟ المتأمل يتأكد له أن المدح لا يدفع نقصاً ولا يعالج به ولا يستكمله! ولذلك كانت القاعدة أمام المادحين ألا يلتفت الإنسان إلى أقوال الثناء بل يرجع إلى نفسه بالذم لما يعلمه منها وما يعلمه من أعمال خفية، فكل إنسان خبيث من نفسه، بقوله تعالى: ﴿يَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ [القيامة/ ١٤]، هذا لو كان ما مدح به موجوداً فيه، وإلا فيذمها بالنقص والتقصير، ولذلك قالوا:

• إذا مدحك الناس بشئ ليس موجوداً فيك فارجع على نفسك بالذم.

■ لا يقرئك ثناء الناس على قيامك ما أنت تعلم من نفسك القلب الياطن الذي لا يعلمه الناس

■ يقال عند المدح: اللهم اجعلني خيراً مما يظنون ولا تؤاخذني بما يقولون واغفر لنا ما لا يعلمون. وذلك مصداقاً لقوله تعالى: ﴿... فَلَا تُؤْخَذُوا بِذُنُوبِكُمْ حَتَّى تَقُولُوا بِمَنْ آتَيْنَا الْقُرْآنَ النُّجُومَ﴾ / النجم / ٣٢. أي قدسوها وتشكروها واعتبروا بأعمالكم فهو أعلم من اتقى كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ اتَّخَذُوا اللَّهَ تَرْجِيًى مِنْ شَيْءٍ وَلَا يُلْقُونَ قَبِيلًا﴾ النساء / ٤٩.

\*\*\*

## ٧. ميزان النفس

✽ يقول الله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ [الحج / ٧٨]، ويقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ضَلَّوْا لِحُبِّ الْغَايَةِ أَتَيْنَهُم مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِمْ سَبِيلًا...﴾ [التكوير / ٦٩]، فهل يوجد ميزان على حق المشتغلين بالمجاهدة يعرفون به الحق والباطل مع أنفسهم؟ ومن أبلغ ما قيل في ذلك من قواعد هذه القاعدة الميزانية: «إذا التبس عليك أمران، فانظر أنقلهما على النفس فاتبعه، فإنه لا يقتل عليها إلا ما كان حقاً».

فكل ما يشغل على النفس فالواجب اتباعه فهو حق، وكل ما يخف عليها فهو باطل وفيه حظها فالواجب احتجابه، ومثال ذلك قد يتقيل عليها الصوم أو قيام الليل أو الصدقة أو حفظ القرآن أو الصمت أو الاعتكاف أو خدمة الآخرين وقد يخف عليها غير ذلك، فليكن العبد على نفسه بصيرة، ومن البصيرة أن يسير معها على عكس مرادها، ويخالفها ويتبعها فيما تأمره أو فيما تنهيه.

✽ وهذه سنة الله في عباده، فإن النفس لا تريد أن تخرج من رايها ومرادها أبداً، فإذا قال قائل: أنا أحمل العمل، كيف أكتشف أن لنفسي حظاً في هذا العمل؟ نقول له: إن كان العمل ثقیلاً عليها فهو حق وصحيح فامضه، مشوكلاً على الله تعالى، ومن يتوكل على الله فهو حسبه.

وأمثلة ذلك في حياة المسلم اليومية وخاصة الذين يشتغلون بالعمل الإسلامي، بهذا الميزان الذي هو المخرج حينما تختلط الأمور، ألا وهو (مخالفة النفس) فالبعض يضيع وقته في القيل والقال بظن الإصلاح وهو لغو، أو في التواكل ويترك فروض العبد والكفاية، بظن التعبد الزائد وهو من علامات هوى النفس، ويضيق هذا الميزان للنفس حينما يسأل الإنسان نفسه: أين حبله من حظ وهوى النفس؟!.

✽ والمقصود بأنقلهما على النفس أي من جهة الطبع، وعلامات التثقل ثلاث (المعجلة والأمن وعسى العاقبة) بمعنى: من توجه لشيء لا يعرف له مادة في الأحكام يرجع فيه الترتك من الفعل، فإن كان فعله مع أمن لا مع خوف، ومع عجلة لا مع تأن، ومع عسى العاقبة لا مع بصيرة بها، فاعلم أن خفته على النفس من هواها وحظها، وذلك لأنها مجبولة على هذا الخير، فإذا أدبرت بلا علة أو أقبلت بلا دليل يذكر، فهو

ذليل هو أمانا، وهذا حاله النفس النواصة التي تخطي وتصيب، أما من رزقها الله نوراً  
وهدي تهدي به، فهي تتبع الشريعة ولحسن الظن بالمسلمين، فإن وجدت شبهة  
توقف، والأصل في ذلك قوله ﷺ :  
« استفت قلبك وإن أفتوك وإن أفتوك وإن أفتوك » .

\*\*\*

## ٨. حركات النفوس

يقول تعالى: ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ مُسِيئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ وَأَنَّكَ لَفَاسٌ وَسَرَلٌ وَكَفَى بِاللَّهِ فَهِيداً ﴾ [النساء/ ٧٩]، يقول ابن كثير: (إن ما جرت عليه سنة كونية خيراً فهو من الله، أما إن أصابتك سيئة فبما لك منه دخل فهو من نفسك)، فالتأويل بين أمرين بين لوم نفسه والثقة بحكمة أقدار الله تعالى.

• تتحرك النفس مع الإنسان حركات عجيبة، فلماذا حركها الله تعالى؟ وكيف تتحرك؟... معنى تحريك النفس: أن تطلب ما تهواه وأن تؤثر دنياها، وأن تلهي كثرة متعلباتها، وأن لا تلتزم بعزمها، وهذا هو الرضا عن النفس، فما الحكمة الربانية في ذلك؟ يقول ابن عطاء:

(حرك عليك النفس ليدوم إقبالك عليه)

واقبالك على الله في ثلاث صور:

الأول: الثقة فيما ترغبه من الله .

الثاني: اللجوء إليه فيما تنهيه .

الثالث: الإجابة له فيما ترتضيه .

وبالتأمل في هذه الصور، نرى أن النفس تتحرك على صاحبها وهو تحت المظاہر، إن كان مهموماً أو مبتلى أو مظلوماً أو مشهوراً أو مسجوناً، فغضه ترجوه له الفرج والتفريح والإفراح مما هو واقع فيه، وتلج عليه بهركاتها، فعن لم يجد إيماناً في قلبه فإنه ينقطع حسرة وهماً وحزناً وتضيق عليه الأرض بما رحبت، أما المؤمن فإنه يزداد ثقة في وعده وفرجه القريب، يراه كلما ضاقت به الأمور، ويستشعر به عند استحکام الخلفات عليه.

• ومن حركات النفوس أنها تلج على صاحبها بأن يتقى الابتعاد عن ماله وأولاده وزوجته ووطنه ومسكنه والحبس وكبت حريته وضياح هدفه، وأسام هذا الإلحاح يلجأ المؤمن إلى الله، يستمد منه الحفوف ويتزود، فإلله بيده الأمر ويسمع ويرى، ويكتبه غمراً ونهباً أن الملبى له هو الله فيزداد قرباً لا اختياره إياه وتقديره له. ومن حركات النفوس أنها تلج على صاحبها بكثرة متعلباتها وحظوظها وإثارة



حتع وشبهوات دنياهما فيقع في أعطاء الرغبا بذلك، التي تسد عنه ربه، وسدال المؤمن أمام ما يرتصيه هو الانخلاع من مبع العيب بالإنانة والأوبة والعوفة والتربة، لتجديد السير والنهوض من جديد.

• وهكذا حركات النفس تدفعك إلى مداومة الإقبال على الله في كل لحظاتك، فلا تنزعج لحركاتها مادام قلبك عامراً بالإيمان، حياً بالرحمن، صادق التوجه إليه تعالى، متسلحاً بالعلم بربه الذي يقربك إلى الله إذا أعرض الناس عنك أو امتدت أيديهم بالإيذاء أو إذا إدلهمت الأمور، ثم يقطعك الدائمة وملازمتك الإقبال على الله ومطاعته عند كل الظروف، وبذلك يمكننا القول: أنك تستطيع أن تتخطى عقبة النفس، يقول أبو الحسن: (أعظم القربات عند الله مقاومة النفس بقطع إرادتها وطلب الخلوص منها بترك ما تهوى لما يرجى من حياتها، وإن من أشقى الناس من أحب أن يعامله الناس بكل ما يريد، وهو لا يبعد من نفسه بعض ما يريد).



## ٩. مبادئ النفوس

ربما يسأل سائل هل كل الشريئات من قبل النفوس؟ وهل النفوس هي المستقلة من كل هذه القبائح والنواقص؟ وللإجابة على هذا السؤال علينا أن نتعرف على مبادئ النفوس الثلاثة ومنها نخلص إلى أن النفوس هي المستقلة أيضاً بوصفها السابق عن كل تقدم وورق في معرفة الله والسير في طريقه فلولاهما ما كان مسيراً أصلاً وهذا يحتاج إلى تفصيل وهذا ما سنحاول معرفته بمون الله وتوفيقه، فالمبادئ ثلاثة: ميدان القول وميدان العمل وميدان الجهاد، وهي مبادئ متداخلة يسلم بعضها بعضاً، وأي إهمال في واحدة يؤدي إلى خلل في التي تليها، ولذلك نحتاج إلى حراسة مع يطة دائمة لأن الغفلة من المدمرات الفاتكة بها.

**لوك: ميدان القول:** وصاحبها يسير في طريق الغفلة، وفيها تطلب النفس حظوظها وشهواتها وهواها، وفي براثن الغفلة تنشأ القبائح ولا تدري بها النفس، وإن لهجت الألسنة بأقوال التوبة وكلام الإقلاع عن الخطوط.

### وعلاج هذا الميدان:

الإيمان ثم الإستقامة حتى تتحقق النفوس بالعمل، وبذلك تدخل في ميدانها الثاني، أرايت كيف أن الإستقامة بدأت من المساواة والقبائح فلولاهما ما كان تقدم أو عمل.

**ثانيًا: ميدان العمل:** وفي ميدان العمل قد تخدع النفس صاحبها، فتراه يعلن إيمانه دون تحقيق، ويرفع إسلاماً دون إستقامة. فلا يتقيد بشرع ولا يحكمكم دين، ولا يتبع سنة ولا تشريعاً، مع أنه مع العاملين، بل نفسه تدفعه إلى غير الإسلام يستمد منه العون والقدرة، فهو كالحائر يبحث عن نجد وهو فيها، وقد أطلقوا على أصحاب هذه النفوس أنهم يسرون في طريق الوهم مع زعمهم الالتزام قد رفعوا العلم شعاراً دون اتباع، ولم يحققوا غاية الالتزام من خشية القلب لربه، وخصومه لولاه.

### وعلاج هذا الميدان:

بالزهد من العمل حتى يحقق الغاية من خشية وهيبة رب العالمين، وحضور القلب، والطمأنينة الدائمة حتى يتحقق بالبصيرة ويحمل ( النفس المطمئنة): ﴿قُلْ

هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المنتهزين ﴿ يوسف / ١٠٨ ﴾ وهكذا تبدد البصيرة الوهم لتتحقق النفس بالعمل المشعور والطمأنينة.

**ثالثاً: ميدان الجهاد** وفي ميدان الجهاد يكثر الزاعمون للإصلاح والعلم والدعوة والشرية والإدعاء في هذا الطريق يتعرض لإمتحانات عاصفة والمراء تطفح شواهد الإيمان، ومن ارتدى هذه الإدعاء كشفت العواصف الهادرة، والعجب أن مدار هذا الرعم غالباً ما يكون في الخير إن لم نقل كله في الخير! وذلك لأن النفوس ما زالت في ميادين الإيمان والعلم والعمل فهي خاصة بالمؤمنين أما الكافرون والمتأفرون عزهمم بالإصلاح والإصلاح وعسارة الكون باطل محض لأن نفوسهم مغلفة لا يهيئ أمل يتظرها بعد أن أخلفت التواقد أصلاً من الإيمان والترحيد!!

**وعلاج هذه الميادين** سهل وميسور... إنه الفرار الدائم إلى الله واستمرار اللجوء إلى الله حتى تتحقق المعرفة، فتبدد سراب الزعم وتدمر ليل الدعوى. وهكذا ميدان القول غير ميدان العمل وميدان العمل خير ميدان الجهاد ورضى الله عن عبد الله بن رواحة يوم أن ترددت نفسه يوم موته لمخاطبها بقوله:

أقسمت يا نفسي لتنزلن

لتنزلن أو لنسـكـرهنـه

إن أجلب الناس وشـدوا الرثـة

مسالى أولئك تكـرهنـن الجنة



## ١٠. تواضع النفوس

حقيقة الإنسان أن نفسه التي بين جنبيه موصومة بالنقص أصلاً ولزماً، فكيف يرى لها رفعة ومزية ومرتبة؟ وهل يصير ذلك عند العقلاء مقبولاً؟ ... حينما عرف اللغويون معنى التواضع اللفظي قالوا: (ثبوت منزلة ورفعة صدر التنازل عنها) وهذا يتناقض مع حقيقة الإنسان التي تأبى ذلك... فهل نسمى ذلك تواضعاً؟ من أقوالهم: (من أنبت لنفسه تواضعاً فهو المتكبر حقاً) ويقول الشبلي: (من رأى لنفسه قيمة فليس له من التواضع نصيب) ويقول أبو سليمان الداراني: (لا يتواضع العبد حتى يعرف نفسه) بل إنه أباً يزيد يقول: (ما دام العبد ينتظر أن في الخلق من هو شر منه فهو متكبر وقيل: قمى يكون متواضعاً؟ فقال: إذا لم ير لنفسه حالاً ولا مقاماً). وعلى ذلك ليس المتواضع إذا تواضع رأى أنه فوق ما صنع ولكن المتواضع الذي إذا تواضع رأى أنه دون ما صنع.

• **التواضع ألباساً يقوم على أمرين:** إما نظر الإنسان إلى نفسه ووصفها بالنقص فإذا ادعى لها رفعة مخالفاً بذلك أصلها وإما نظر الإنسان إلى أوصاف ربه وكماله فيرى أن كل شيء دون الله نقص ومحشور، يقول ذو النون: (من نظر إلى سلطان الله تعالى ذهب نفسه لأن النفوس كلها حقيرة عند هيئته، ومن أشرف التواضع أن لا ينظر إلى نفسه دون الله تعالى)، فالتواضع في معناه مجاهدة النفس لأنها تريد الرفعة والإنسان يريد السقوط، والذين تكبروا كان السبب في تكبرهم أنهم أثبتوا المزية لأنفسهم ورفعوها ثم أثبتوا لها التواضع فهم المتكبرون على الناس حقاً. يقول الجنيد: (من رأى نفسه قد تواضعت فهو محتاج إلى تواضع، ولو تبرأ منها ومن تواضعها لكان متواضعاً).

• وهذا سر المخالطة الربانية في حياة النبي ﷺ مع أصحابه الكرام: ﴿صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ وَهَمَاءُ بَيْنَهُمْ...﴾ الفتح / ٢٩. ويقول تعالى: ﴿... أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ...﴾ المائدة / ٥٤.

ومن صوره المتواضعين:

• لا يتنون لأنفسهم تواضعاً مهما تواضعوا.

- يرون أنهم دون ما صنعوا لا طوق ما صنعوا مهما تواضعوا.
- إذا قدموا غيرهم فإنهم يرون أن ما فعلوه دون المطلوب.
- يشهدون عظمة مولايم وينسون أنفسهم وحقوقهم، يقول تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ غَافِلًا لَفُضِّتْ لَهُمُ النَّفْسُ لِيَفْضُلُوا مِنْ حَوْلِكَ...﴾ ثم آكل حمراهم

١٥٩

وهذا هو تواضع النفوس الخلقية، فالكمال لله وحده :

فما التأنيت في اسم الشمس نقص

ولا التذكير فخر للهلال

★★★

## ١١. جزء التنوير

• يقول تعالى: ﴿ هَذَآكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا آسَفَتْ وَرَدُّوْا إِلَى اللَّهِ مِرَآةَهُمُ الْفُحْفُ وَحُلَّ عَنْهُمْ مَآ كَانُوا يَفْعُرُونَ ﴾ يونس / ١٣٠. هذا يوم القيامة حيث تختبر كل نفس وتعلم ما سلف من عملها من خير وشر، يقول تعالى: ﴿ اقْرَأْ كِتَابَكَ تَكُنْ مِنْ بَنِيكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ الإسراء / ١٤.

فالأمور كلها ترجع إلى الله الحكيم العدل، والإنسان لم يظلم ولم يكتب عليه إلا ما عمل يقول تعالى: ﴿ مَنْ أَحْتَدَىٰ لِنَفْسِهِ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ حُلَّ قَبْلُنَا يَعْلُ فَعَلًا ﴾ الإسراء / ١٥.

والساعة كائنة لا يد منها، وقائمة لا محالة، لا يطلع عليها أحد، ليحزى الله كل عامل بعمله يقول تعالى: ﴿ إِذَا السَّاعَةُ أَتَتْ أَهْمًا أَخْفِیْهَا الْمُسْرِئُ كُلُّ نَفْسٍ رَمَا لِنَفْسٍ ﴾ طه / ١٥.

لأنت مسئول وحدك، تقدم الجميع بنفسك، حيث لا ينفع أب ولا ابن ولا أخ ولا زوجة، يقول تعالى: ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تَجَادُلُ عَنْ نَفْسِهَا وَقُولَىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَانَتْ تَعْمَلُ وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ النحل / ١١١.

• وأوضح الله تعالى جزاء من ترك لنفسه العنان واستجاب لما حست له صاحبا، من اقتراف الحرام، والوقوع في المفساد، يقول تعالى: ﴿ ... لَبِئْسَ مَا فَعَلْتُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ سَخَطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾ المائدة / ٨٠. وكانت النفس من الأسباب التي جعلت بني إسرائيل تنقض عهدها ولا تستجيب لرسالتها يقول تعالى: ﴿ ... كَلَّمْنَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴾ المائدة / ٧٠. والنتائج لمن اتبع هواه كانت الحسران والهلاك وعرة مكرهم عليهم:

- يقول تعالى: ﴿ ... الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ الأنعام / ٢٠.
- ويقول تعالى: ﴿ ... وَإِنْ يَهْلِكُونَ إِلَّا أَنفُسُهُمْ وَمَا يَضُرُّونَ ﴾ الأنعام / ٢٦.
- ويقول تعالى: ﴿ ... وَمَا يَسْكُرُونَ إِلَّا أَنفُسُهُمْ وَمَا يَضُرُّونَ ﴾ الأنعام / ١٢٣.

وذلك جزاء كذبهم وظلمهم وبغيتهم:

- يقول تعالى: ﴿ لَعَنَّا كَذِبًا كَذَّبُوا عَنْ أَنفُسِهِمْ ... ﴾ الأنعام / ٢٤.
- ويقول تعالى: ﴿ ... وَأَنفُسُهُمْ كَانُوا بِظُلْمٍ ﴾ الأعراف / ١٧٣.

• ويقول تعالى: ﴿... يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغَيْتُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ يونس / ٢٣ .

• أما جنات عدن فهي الجزاء الذي ينتظر من ذكرى نفسه، وطهرها من الخبث والفتن والعيوب، وحقق عبوديته لله وحده، وأتبع النبي ﷺ فيما جاء به، وكان النبي ﷺ أحب إليه من نفسه مصداقاً لقوله تعالى: ﴿الَّذِي أَوْكُنَ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ...﴾ الأحزاب / ٦ ، وفي الصحيح : والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وماله وولده والناس أجمعين .

هذا الجزاء الجميل خاص هؤلاء كما في قوله تعالى: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ جِزَاءُ مَنْ كَرَّمَ فِي هَذِهِ / ٢٦ . وجنات عدن هي مدينة الجنة فيها الرسل والأنبياء والشهداء وأئمة الهدى ومن حولها الناس في الجنات، ويجمع الله أهل جنات عدن وبين أحبائهم فيها من الأبياء والأهلين والأبناء من هو صالح يقول تعالى: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَأَنْزَلَ مِنْ عَلَيْهَا أَنْهَارٌ وَأَزْوَاجُهُمْ يُدْرِيهِمْ...﴾ الرعد / ٢٣ .

حتى أنه ترفع درجة الأدنى إلى درجة الأعلى امتناناً من الله وإحساناً من غير تنقيص للأعلى عن درجته كما قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِحْسَانٍ أَلْفَا بِهِمْ ذُرِّيَّتِهِمْ﴾ .

• والطريق إلى الحصول على هذا الجزاء الجميل، ودخول جنات عدن، والاستقرار فيها، أوضحه الله تعالى بأنه يبدأ من تغيير النفوس، والابتعاد عن الذنوب، يقول تعالى: ﴿فَالَّذِينَ بَاءَ اللَّهُ لَهُمْ أَنَّهُمْ لَا يُغَيِّرُونَ نَفْسَهُمْ عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَمُمْسِعٌ عَلَيْهِمْ﴾ الأنفال / ٥٣ . فأخبر الله تعالى عن تمام عدله وقسطه في حكمه بأنه تعالى لا يغير نعمة أنعمها على أحد إلا بسبب ذنبه الذي ارتكبه، كقوله تعالى: ﴿... إِذْ اللَّهُ لَا يَغَيِّرُ مَا بَعَثَ مِنْ قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ...﴾ الرعد / ٦١ أو قوله تعالى: ﴿كَذَٰبَ آلِ فِرْعَوْنَ فِي أَيِّ كُفْرَةٍ آلُ فِرْعَوْنَ حِينَ أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ بِسَبَبِ ذُنُوبِهِمْ وَسَلْبِهِمْ تِلْكَ النِّعَمُ الَّتِي أُسْدَاهَا لَهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعِیُونٍ وَزُرُوعٍ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ فِي ذَلِكَ بَلْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ .

\*\*\*

۱۲. طریقہٴ ایلی جناتِ عبرا

• الله تعالى يحب لعباده الخبير، فحفظ علينا نفوسنا ليوصلنا إلى طريق الصلاح يقول تعالى: ﴿وَأَمَّا جَوْفَاءٌ عَلَىٰ كُلِّ لَاسٍ جَاكِشًا﴾ أي محفوظ عظيم وقبيل على كل نفس، لا يحمي عليه شافية، يقول تعالى: ﴿وَيُحْكِمُ أَعْيُنُكُمْ إِن تَكُونُوا صَاحِبِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ خُفُورًا﴾ الإسراء / ٢٥ - وقد دللنا الله تعالى على طريق النفوس المحصورة على جنات عدن بهذه الوسائل:

أَوْفَاءُ أَوْ صَانَا اللَّهُ بِالْقُرْآنِ وَتَدِيرُهُ وَالْعَمَلُ بِهِ وَالتَّذَكُّرُ الدَّائِمُ بِهِ، لِثَلَا تَفْتَضِحَ نَفْسُ  
أَوْ تَهْلِكُ أَوْ تَحْبَسَ عَنِ الْخَيْرِ أَوْ يَحَالُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْمُرِيدَةِ، يَقُولُ تَعَالَى: ﴿ وَذَكِّرْ بِهِ  
- أَيِ الْقُرْآنِ - أَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَمْ يَلَمْزْ مِنْ ذُنُوبِ اللَّهِ وَفِي وَلَا شَيْعٍ ﴾ الْآيَاتُ: ٧٠  
ثَانِيًا: وَأَوْصَانَا اللَّهُ تَعَالَى بِالْبَصِيرَةِ بِمَعْرِقَةِ حُيُوبِ أَنْفُسِنَا وَعِلَاقِهَا وَكُلِّهَا تَعُودُ  
عَلَى صَاحِبِهَا بِالْقِرَاءَةِ وَالْقَمْعِ يَقُولُ تَعَالَى: ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بِضَائِغٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَهْمَرُ  
لِخَفْسِهِ وَمَنْ غَمِي فَلْيُنْهَ وَمَا آتَا عَلَيْكُمْ بِمِثْقَلِ حَبِّ الْأَعْمَامِ ﴾ ٦٠٢ .

**ثُمَّ قَالَ:** وَأَوْصَانَا اللَّهَ بِطَرِيقِ الدُّعْوَى، وَهَدَايَةِ الْمُحْتَمِ، وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَطِيعْنَا رُوحَهُ أَحْمَدُ أَنْ يَا هَكَرَ الصَّدِيقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَامَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ تَقْرَءُونَ هَذِهِ آيَةَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا تَعْرِضُوا أَمْوَالَكُمُ إِذَا اخْتَلَفْتُمْ فِي شَيْءٍ مِنَ الْبَيْنَةِ ۚ فَمَا تَتْلُونَ مِنْهَا إِلَّا أَنْتُمْ وَبَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذِبٌ كَرِيمٌ﴾ ١٦٥، وَإِنَّكُمْ تَضَعُونَهَا عَلَى غَيْرِ مَوْضِعِهَا وَيَأْتِي سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: إِنْ السَّاسُ إِذَا رَأَوْا الْمُنْكَرَ وَلَا يَغْيِرُونَهُ يَرْشُكُ اللَّهُ عَنْهُمْ وَجَلَّ أَنْ يَعْصِيَهُمْ بِحَقَائِقِهِ.

وروى عبد الله بن المبارك أن أبا ثعلبة الخشني حينما مثل من هذه الآية قال: أما والله لقد سألت عنها خبيراً سألت عنها رسول الله ﷺ، فقال: «أهل النشور» والمعروف وتناها عن المنكر حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً، وهوى متبعاً، ودنيا مؤثرة، وأعجاب كل ذي رأى برأيه، فعليك بهفاضة نفسك، ودع العوام فإن من وراءكم أياماً قصاير فيهن مثل القابض على الجمر، للعامل فيهن مثل أجر خمسين يعملون كعملكم» قال الرملي حديث حسن صحيح.

• وهل يرجع أهل الباطل إلى أنفسهم؟ في القرآن الكريم بين الله تعالى أنهم



يرجعون إلى أنفسهم ويراجعون مواعيدهم ليس للوصول إلى الحق، وإنما شيئاً واستمراراً على ما فعلهم، يقول تعالى عن قوم إبراهيم حين قال لهم ما قال: ﴿ فارجعوا إلى أنفسكم فقالوا إنكم أنتم الظالمون ﴾ [الأنبياء/ ٦٤]، أي عادوا بالعلامة على أنفسهم في عدم حراستهم لأنفسهم وتركها مهملة بلا حماية.

بل إنهم يوم القيامة يحترقون على أنفسهم ويقولون بعبادهم وتكبرهم ومعاداتهم للإسلام، يقول تعالى: ﴿ ... وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين ﴾ [الأعراف/ ٣٧]. وذلك جزاء إغلاظهم لعقولهم وقلوبهم وأفتدثهم فأغلق الله الثواب والأواب، وكان الأولى بهم أن يرجعوا أنفسهم للمودة إلى الله، وأن يصرفوا بظلمهم في الدنيا من أجل الأوبة إلى ربهم، فالكلمات التي تلقاها آدم من ربه، فتاب الله عليه، هي في قوله تعالى على لسان آيتا آدم عليه السلام، ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الأعراف/ ٢٣].

ففتح العمل الصالح يعود على فاعله مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ ... ومن قرأ من إنشائه ينزل من نفسه وإلى الله المصير ﴾ [فاطر/ ١٨]، وذلك في يوم الجزاء، حيث يتال الماسلون جزاءهم، يقول تعالى: ﴿ فَمَالِ الْيَوْمِ لَا تَعْلَمُ نَفْسٌ حِينَهَا وَلَا تُجِرُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [يس/ ٥٤]، فهيناً حيناً لمن قازا وما لها من بشرى! يطلعنا الله عليها لمن اجتهد وجاهد وكابد وانصر على حركات نفسه، فأخفى عمله، وجعله سرّاً بينه وبين ربه، فأخفى الله له من الثواب جزاءً وفاقاً معيناً متيناً ولذلك لا يطلع على مثلها أحد، يقول تعالى: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة/ ١٧].

يقول الحسن البصري: أخفى قوم عملهم فأخفى الله لهم ما لهم تر عين ولم يخطر على قلب بشر، وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال الله تعالى: (أَعْدَدْتُ لِعَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْن رَأَتْ وَلَا أُذُن سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ) قال أبو هريرة: أقرموا إن شئتم ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾. وقيل في تفسير: ﴿ قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ فيما رواه ابن أبي حاتم عن عامر بن عبد الواحد قال: بلغني أن الرجل من أهل الجنة يمكث في مكانه سبعين سنة ثم يلتفت فإذا هو بامرأة أحسن مما كان فيه فتقول له: قد أنى لك أن يكون لنا منك نصيب فيقول من أنت؟ فتقول أنا من المزيد، فيمكث معها سبعين سنة ثم يلتفت فإذا هو بامرأة أحسن مما كان فيه فتقول له: قد أنى لك أن يكون لنا منك نصيب، فيقول: من أنت؟ فتقول: أنا التي قال الله: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾.

## ١٣. راعى الشفوعى

• وبعد هذه الرحلة فى داخل النفوس، والتي سمعنا فيها هبّات الإسلام التي أتت لنا الدروب، وكشفت لنا عن عبايا الطريق، لم يبق لنا اصطفاة الله من عباده إلا الجنة يرعد فى عبيها الدائم، يقول تعالى: ﴿لَمْ نُؤْتِكُمُ الْكِتَابَ الَّذِينَ اسْتَظَلُّوا مِنْ عِبَادَتِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِنَّ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ فاطر / ٣٣. يقول ابن عباس: ﴿من عبادة﴾ هم أمة محمد ﷺ فطالهم: يتفرل، ومقتصدهم: يحاسب حساباً يسيراً، وسابقهم: يدخل الجنة بغير حساب ثم قال تعالى أن ماوى هؤلاء المصطفون من عباده حبات عدن فى قوله تعالى: ﴿وَجَنَّاتٌ عِدْنُهَا يُدْخَلُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن بنا لمفعول شكور (٣٤) الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يمتنا فيها نصب ولا يمتنا فيها لقوب﴾ فاطر.

• ولم يبق أمام الشفوعى إلا الإجابة والتوبة، فما أعظمها من دعوة من الله إلى المدينين بالأوبة، فى قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَنْظُرُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ الزمر / ٥٣. فليما رواه الامام أحمد أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ وقال: يا رسول الله إن فى خدرات وفجرات فهل يغفر لى؟ قال ﷺ: أكست تشهد أن لا إله إلا الله، قال: بلى وأشهد أنك رسول الله، فقال ﷺ: قد غفر لك خلوئك وفجراتك.

وذلك مصداقاً أيضاً لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْمِ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَغْفِرِ اللَّهُ غَفُورًا وَحِيمًا﴾ النساء / ١١٠ يقول ابن مسعود: إن أكثر آية فى القرآن فرحاً: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَنْظُرُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ فلهيئاً لأمة محمد ﷺ بآبواب الأمل وإن ولغت النفوس بالذنوب!.

• أنشد ابن أبى الدنيا فى كتابه المتفكر والاعتبار عن شيخه أبى جعفر القريشى حيث قال:

وإذا نظرت لريد مـm

فانظر إليك فسيفيك مـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـمـm  
يقول تعالى للمتأمل المتفكر: ﴿مُتَرَبِّعُ آيَاتِنَا فِي الْأَقْبَابِ وَإِنِّي أَنفُسَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ

لما أتيا العقلاء المنصرون، يشاركون مع ربكم الذي يقول : ❦ ولقد خلقنا الإنسان  
ونعلم ما توسوس به نفسه ، ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ❦ وقد كنت من الصحيح  
عن النبي ﷺ أنه قال : ❦ إن الله تعالى تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تقل أو  
تعمل ❦ .

\*\*\*

## والخير

إن هذا الأمل الكبير الذي ينتظر النفوس الصالحة، كأنه يهيم في نفوسنا:  
 لا تحقرن من المنسوب صغيراً  
 إن الصغير شأناً يصوره كبيراً  
 إن الصغير ولو تضاعف عليه  
 عند الإله مسطراً مسطراً  
 فلزجس هوئك عن البطالة لا تكن  
 صعب القياد وشمرود تشميراً  
 إن المحب إذا أحب إليهم

طار القسواء وألهم التفكيراً  
 وهذه همسة أخيرة من صاحب النفس الصالحة المطمئنة بأمر بكر الصديق رحمه الله  
 وهو يقول في خطبته:

من استطاع أن يقضي الأجل وهو في حمل الله عز وجل فليعمل، ولن تنالوا ذلك  
 إلا بالله عز وجل، وإن قوماً جعلوا أجالهم لغيره فنهاكم الله عز وجل أن تكونوا  
 أمثالهم، ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ...﴾  
 الحشر/ ١٣، وتدعو بدعاء النبي ﷺ: «اللهم إني أسألك نفساً بك مطمئنة تؤمن  
 بلغائك وترضى بقضائك وتفتح بطاعتك».

• وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ الذكر، ٧، قيل: يأتي الرجل  
 مع شيمته، الرجل الصالح مع الرجل الصالح وكذلك يقرن الرجل السوء مع الرجل  
 السوء، وأجمعوا على أنهم الأمثال من الناس، وخطب عمر بن الخطاب فأوضح  
 معنى زواج النفوس بقوله: تزوجها أن تؤلف كل شيمة إلى شيمتهم حتى يبلغ قوله  
 تعالى: ﴿طَلَعَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾ الذكر، ١٤، قال عمر: «فهذا أجرى الحديث»  
 بمعنى كل ما قيل على النفوس وتربيتها فعمل كل نفس منا أن تعلم ما عملت وأن ما  
 عملت سيكون حاضراً ومحضراً، ولذلك كانت «تربية النفوس».

\*\*\*

### ثالثاً : مناسبة النفس

كيف تعامل نفسك؟

\*\*\*

## محاسبة النفس كيف نحاسب أنفسنا؟

### ١. أنواع المحاسبة

يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ مِنْكُمْ نَفْسٌ مِمَّا قَدَّمْتُمْ لِنَفْسٍ وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (الحشر: ١٨).

وقوله تعالى: ﴿... وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مِمَّا قَدَّمَتْ لِنَفْسٍ...﴾ أي: حاسبوا أنفسكم قبل أن تمسوا وانظروا ماذا ادرتم لأنفسكم من الأعمال الصالحة ليوم معادكم وعرضكم على ربكم.

وقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ الشمس / ٩، قال الحسن: سمناه: لقد أفلح من زكى نفسه، فأصلحها وحملها على طاعة الله تعالى.

وفي الحديث عن أنس قول النبي ﷺ: «الكيس من دان نفسه وحمل ما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمان». رواه أحمد.

ويقول ميمون بن مهران: «لا يكون الحد نقياً حتى يكون لنفسه أشد محاسبة من الشريك لشريكه» ولهذا قيل: النفس كالشريك الخلوآن، إن لم تحاسبه ذهب بمالك.

ومن خلال هذا العرض القرآني والتفسير النبوي، يتضح لنا أن المحرك الأول لصلاح أنفسنا وتزكيتها ومحاسبتها هي أصدق نظرة في الوجود، النظر إلى يوم

القيامة حيث تظهر خبايا الأنفس ومكنون أسرارها، ومن ثم هي دعوة في الدنيا لتتزوّد اليوم للمعاد، ويوم العرض على الله تعالى، ولا يتم ذلك إلا بمحاسبتها، وقد

أطلق الحبيب ﷺ على من يحاسب نفسه (الكيس) فهو العاقل الراشد الذي فقه ما يفعله وما يعود عليه بالخير، أما غيره الذي لا يحاسب نفسه فهو العاجز، خاصة أمام

شريك خلوآن، وهي صيغة مبالغة من (الخائن)، ونصير أن شريك الخائن تحاسبه يوماً في الأسبوع أو شهراً في العام، ولكن نفسك معك في صحورك وفي منامك وفي

عملك في صحتك وفي عجزك، في مرضك وفي عافيتك، لا تترك لحظة، إلا

وتزمن لك فعل الشر، وتخفف عليك فعل المعصية، ولذلك تعددت أنواع المحاسبة، لأن محاسبة النفس دائمة ومستمرة ولا تقطع قماً أنواع المحاسبة؟

### النوع الأول، قبل العمل

• وقبل أن يهم الإنسان بالعمل لابد من محاسبة نفسه، وذلك عند أول خاطرة، عند أول إرادة، عند أول هم بالعمل، وعلامة نجاح ذلك في قولهم: ( ولا يبادر بالعمل حتى يتبين له رجحان العمل به على تركه ).

• وقد حدد الحسن بن زهير كيفية المحاسبة قبل العمل في قوله :

( رحم الله عبداً وقف عند همه فإن كان لله مضى وإن كان لغيره تأخر ).

وهذا هو المفتاح به تبدأ أو تتأخر، به تنجح أبوابه الخير، أو توعد أبواب الشر.

### النوع الثاني، بعد العمل

• فإن فاته قبل العمل، فالفرصة أمامه للمحاسبة بعد العمل مباشرة، ولا يؤجل ذلك، لتصحيح مسار حياته، وتصويب الخطأ عند أول فرصة، وصور المحاسبة بعد العمل ثلاثة، تحتاج منا إلى تأمل وعمل:

**الأولى:** محاسبتها على طاعة قصوت فيها من حق الله تعالى، فلم تفعلها على الوجه الذي ينبغي، وتبدأ المحاسبة بسؤالها: هل قمت بطاعة الله على وجه يرضى الله تعالى أم قصرت بذلك؟

**الثانية:** أن يحاسب نفسه فور كل عمل يقوم به، كان تركه خيراً من فعله، لماذا فعلته، ولو تركناه لعلنا خير عظيم؟

**الثالثة:** أن يحاسب نفسه على أمر مباح أو معصاة؟ ثم لعله؟ وهل في الأمر المباح؟ وهل في الأمر المعصاة محاسبة؟ إن السؤال هنا: هل أراد بالعمل وجه الله أو أراد به الدنيا، أراد بالعمل الروح في الدار الآخرة أم أراد به المصلحة وليس وجه الله فحسر الأرباح، هل أراد نفع غيره أم نفع نفسه ولو كان فيه ضرر بغيره لم يغفوه الفوز العظيم والظفر بالحياة الخالدة في الجنان.



## ٢. منافع محاسبة النفس

إن كانت المنافع إجمالاً في معرفة الله تعالى وتوحيده ، وتعظيمه ، ثم التزود بالطلقات له وتحقيق العبودية ، لكن منافعها فوائد بما يعود على المسلمين راحة فلبية ، ولرب من الرحمن ، وحياة طيبة كريمة ، ومن خلال هذا الإجمال نفصل :

### المنافع في الآتي :

#### ١- معرفة محبوب النفس :

من عيوبنا الله تعالى أن يكل الله الإنسان إلى نفسه ، فلا يكتشف حبها ولا يشعر بمساوئها ، وبالتالي من لم يعرف حبيب نفسه لا يستطيع أن يعالجها ، أما من عرف نفسه ، عيبها وعظمتها ، فهو الذي يتدارك ما فات ، ويعود تالياً نادماً إلى ربه إن كان ملذياً ، ويحذر منها أو أبواباً إلى ربه إن كان مؤمناً .

#### ٢- معرفة حق الله تعالى :

فمن عرف الله حقاً ، فإنه أول من يبادر في محاسبة نفسه ، على التفريط في حق الله لقوله تعالى : ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ﴾ عبس / ٢٤ ، كان يلعب أحد الصالحين إلى المقابر ، ويثلو هذه الآية ﴿ كَلَّا لَئِنْ يَفْعَرْنَا أَمْرَهُ ﴾ عبس / ٢٣ ، فقد خرجوا جميعاً من الدنيا ولم يوف أحدتهم بحق الله تعالى ، ويقضى ما أمره الله من صلاح وإصلاح ، ودعوة وإرشاد ، وإيمان وتقوى ، ومن حرم الله وعقوه في أن الله تعالى لم يجعل العقوبة لمن فرط في حقه ، فإذا به بالمحاسبة يفتح الله له باباً من المدد والانتكاس والخصوع والافتقار إلى الله وحده ، وهذا هو السر في تقوى الصالحين وأنس الحارفين ، والسبب يرجع مباشرة إلى محاسبتهم الدائمة لأنفسهم ، لأنهم عرفوا حق الله تعالى عليهم .





### ٣. مفتت النفس في ذل الله

وهذا ما وصل إليه الأصحاب الكرام ، فحصلوا على أعلى النافع ، وأعلى الثمار ، يقول أبو الترداء : ( لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يمقت الناس في حب الله ثم يرجع إلى نفسه فيكون لها أشد مفتا ) ولذلك يؤكد ابن القيم قائلاً : ( مفتت النفس في ذات الله من صفات الصديقين ) .

الذين هم في الرتبة اليسرى الثانية بعد الأنبياء مباشرة ، ثم يكمل ابن القيم ( ويدينوا العبد به ) بمقت نفسه من ربه تعالى في لحظة واحدة أصعاف ما يدنو بالعمل [ وهل بعد هذه الثمرة من ثمار يجنيها من يحاسب نفسه ، يقول والله المحاسبين أنفسهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه : ( من مفتت نفسه في ذات الله أمته الله من مقتته ) وهذا هو جزاء المعادل تعالى ، لهل هيتنا أنفسنا لهذا الموقف الجليل بمقتها في ذات الله تعالى ١٢ .

ومن أمته الله من مقتته ، أعانة على مراقبته في الدنيا ، فأخذ بزمامها اليوم وحاسبها ، ليستريح بعداً من هول الحساب ، فالفرصة أماننا لتصحيح كل ما فات ورد الحقوق إلى أهلها ، وفتح صفحة جديدة مع الله تعالى ، نبدأ بها الاجتهاد في الطاعة و المجاهدة في ترك المعصية ، لنحصل على أعلى الثمار في الربح والفوز ، بدخول جنة الفردوس والنظر إلى وجه الله تعالى .



## ٤. أضرار ترك المحاسبة

لماذا يسهل على البعض مواجهة الذنوب؟

بينما يكون صعباً على أنفسهم التخلص منها؟

وفي هذا السؤال يدور في أذهان الكثيرين وما وجدت إجابة شافية عليه إلا من عالم النفوس الإمام ابن القيم حيث يقول: (وأضر ما عليه الإهمال وترك المحاسبة وتسهيل الأمور فإن هذا يؤدي به إلى الهلاك، وإذا فعل ذلك يهين عليه مواجهة الذنوب وعسر عليه التخلص منها).

فالأمر يرجع إلى ترك المحاسبة، الذي يؤدي به إلى الهلاك، وصور الهلاك كثيرة، نسأل الله أن يصرفنا وإياكم بأنفسنا ويرزقنا محاسبتها فمن هذه الصور المهلكة:

### ١- شق العبد في هواه:

فيترجى بحاله ويسى الحساب تماماً، حتى يطرأ أن لا حساب، فيسير وراء هواه موسى نفسه وعنه يقول تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ (البأ: ٢٧).

والحل في قول النبي ﷺ:

«أشد من محاسبة الشريك مع شريكه» رواه أبو نعيم في الحلية.

### ٢- فساد الباطن:

ما فائدة جمال الظاهر، فما أروع كلامه وما أحسن ثيابه وما ألطف سلوكه وما أجمل عطره، وفي الباطن شراب، وفي القلب دمار، لأنه ترك محاسبة نفسه، يقول أهل العلم: (إذا جائت الناس فكن واعظاً لنفسك فالحقائق يراقبون ظاهرك والله يراقب باطنك).

### ٣- سهو لقاء مواجهة الذنوب:

﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا هَؤُلَاءِ هِيَ أَثَرُكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ (الانفطار)، يقول الحسن البصري: (لا يليق بالمؤمن إلا أن يعاتب نفسه فيقول لها: ماذا أردت بكلمتي؟ وماذا أردت بأكلتي؟ أما العاجز فيمضى قدماً لا يحاسب نفسه).

### ٤- صعوبة حساب الأغرقة:

(حاسبوا أنفسكم قبل أن تموتوا) هذه حكمة عمر بن الخطاب التي حملتها

الأجيال من سيد من حامس نفسه ، وهي تتلاقى مع حكمة الحكماء . ( الليل والنهار  
يباعدان من الدنيا ويقربان من الآخرة ) فحاسبوا أنفسكم وفق الحكمة : ( كل يوم  
تقرب فيه الشمس بثلوث ينقصان عمرك ) فحاسب نفسك قبل يوم الحساب .

\*\*\*

## ٥. محاسبة النفس في الشكر (الكبر)

### ١- الأمر بالمحاسبة:

وذلك في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلِتَنْظُرُوا نَفْسَ مَا قَدَّمْتُمْ لِعَدِّهِ وَأَقْبُوا إِلَى اللَّهِ إِذْ حُيِّرَ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (الحشر: ١٨) .

يقول ابن كثير في تفسيره: ﴿ ... وَلِتَنْظُرُوا نَفْسَ مَا قَدَّمْتُمْ لِعَدِّهِ ... ﴾ أي حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وانظروا ماذا آخروكم يوم معادكم.

### ٢- التحذير من ترك المحاسبة:

يقول تعالى: ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ لَوْذًا قَدْ آنَ يَنْتَهِا وَيَوْمَئِذٍ بُعِيدًا وَيَحْذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ... ﴾ (آل عمران: ٣٠) .

### ٣- مسئولية المحاسبة:

فالمحاسبة مسئولية يوم القيامة حيث يوم العدل ، فالعاقل يعمل لهذا اليوم يقول تعالى: ﴿ وَارْزُقِ الْمَوَازِينَ الْمُبْتَطِطِ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُفْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ... ﴾ (الأنبياء: ٤٧) .

### ٤- الفلاح في تزكية النفس:

يقول تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (١) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (٢) ﴾ الشمس . فالمحاسبة خير وسيلة لتقويم اصوجاح النفس بفرض تزكيتها وأساس المحاسبة مقارنة ما تفعله مع الشرع وأمر الله ، والمبطل إلى ذلك مخالفة الهوى . ويقول تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَسِيَ الْفُتُورَ (١) فَوَيْلٌ لِلنَّفْسِ الْفُتُورِ (٢) فَوَيْلٌ لِلنَّفْسِ الْفُتُورِ (٣) ﴾ النازعات .

### ٥- تقوى النفس:

فالطريق إلى التقوى يبدأ بمحاسبة النفس فاللؤمن لا ينظر إلى نفسه إلا بين النور والمحاسبة والمعابة، أما من ينظر إلى نفسه بين المعجب والكبر والفخر ، فقد الطريق إلى التقوى يقول تعالى: ﴿ فَلَا تَزْكُوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴾ النجم / ٣٢ ، وكفى بهذه النظرة لنفسه بعد فقد الطريق إلى التقوى ، ألا يخاف الذنب ، ويستصغر المعصية ، وقد قال فقهاء التقوى: ( لا تنظر إلى صغر ذنبك ولكن أنظر إلى من عصيت ) .

## ٦. (المحاسبة والتقوى)

في وصية النبي ﷺ لأبي ذر: «يا أبا ذر لا يكون الرجل من المتقين حتى يحاسب نفسه أشد من محاسبة الشريك شريكه فيعلم من أين خطئه ومن أين مشربه ومن أين ملبسه أمن حلال أو من حرام». **يا أبا ذر:**

من لم يبالي من أين اكتسب المال لم يبالي الله من أين أدخله النار. هذه قصة رجل يجتهد أن يكون من المتقين وبداية الطريق من محاسبة نفسه حساب الشريك الذي فصله النبي ﷺ: بسؤاله نفسه من أين ؟ أم حلال أو من حرام ؟ فإن لم يفعل ولم يحاسب نفسه هذه المحاسبة النبوية ولم يبالي فإن الله لم يبالي أيضا من أين أدخله النار! الحيدل أن يسلك طريق التقوى صار في طريق اللامبالاة التي أوصيته إلى المبالاة.

أما الذين سلكوا طريق المحاسبة وحاسبوا أنفسهم فيها هم نماذج مشرفة في طريق المتقين وتأملوا كلمات قلوبهم المنيعة:

**يقول عمرو بن الخطاب:**

(من حاسب نفسه في الرخاء قبل الشدة عاد أمره إلى الرضا والقبطة).

**ويقول الحسن البصري:**

(إن العبد لا يزال بخير ما كاذ له واعتد من نفسه وكانت المحاسبة همته)

**ويقول أنس بن مالك:**

سمعت عمر بن الخطاب يوما وقد خرجت معه حتى دخل حائطا فسمعتة يقول ويبي ويبي جدار: وهو في جوف الحائط: أسر المؤمنين يخ... يخ والله لئن تقين الله أو ليمذبك.

**ويقول الحسن البصري:**

في قوله الله تعالى: ﴿وَلَا تُلْمُ بِالنَّفْسِ الْوَلَايَةَ﴾ (القيامة: ٢).

لا تُلقي المسلم إلا وعاتب نفسه والفاجر يخطئ فلما لا يعاتب نفسه.

ويقوله مالك بن دينار: رحم الله أمرا قال لنفسه: أكنت صاحبة كذا أليس صاحبة كذا ثم ذمها ثم خطمها (ما نقاد به الإبل).

ويقول هيمون بن مهران:

(إن النقي أشد محاسبة لنفسه من سلطان عاصي ومن شريك شحيح)،  
(ثم أكرمها كتاب الله وكان لها قائداً)

وكان توبة بن الصمعة:

محاسبة لنفسه، فحاسبها يوماً فرأى أن حمزه قد بلغ الشين عاماً، حسب أيامها  
فلذا هي أحد وعشرون ألف يوم وخمسمائة يوم، فصرخ وقال: يا ويلتاه! ألقى الله  
بواحد وعشرين ألف ذنب! فكيف ولي كل يوم عشرة آلاف ذنب! أ!

فلما مات قسّموا من يقول: (يا لها من ركضة إلى الفردوس الأعلى)

ويقول إبراهيم التيمي: مثلت نفس من الجنة أكل من ثمارها وأشرب من  
أنهارها ثم مثلت نفس في النار أكل من زقومها وأشرب من صديدها وأصالح  
سلاسلها وأخللها فقلت لنفسي: (يا نفس أي شر تريدين؟) فقالت: تريد أن أورد إلى  
الدنيا فأعمل صالحاً قلت: فأنت في الآسية فاعلمي.

ويقول الفضيل بن عياض:

(المؤمن يحاسب نفسه، ويعلم أن له موقفاً بين يدي الله تعالى والخائف يفعل من  
نفيه، فرحم الله عبداً نظر لنفسه قبل نزول ملك الموت به).

\*\*\*

## ٧. الباب العشرة المعينة على محاسبة النفس

١- اليوم وغدا.

المعرفة بأنك كلما اجتهدت في محاسبة نفسك اليوم تسريح غدا من ذلك ، كلما كان الإهمال اليوم اشتد الحساب غدا

٢- ربح الأخرة.

ربح محاسبة النفس ومراقبتها هو السكن بالفرحوس وهى أعلى الجنات ، ومنها نضجر أنهار الجنة والنظر إلى وجه الله تعالى ،

٣- احذر الإهمال.

احذر الإهمال وما يؤول به ترك المحاسبة من الهلاك والدمار واتباع الهوى ، وكما قيل اتباع الهوى هوان وذل وفقر وخليفة.

٤- محاسبة أهل المحاسبة.

صحبة الأخيار الذين يحاسبون أنفسهم ويطلبونك على صيوب نفسك.

٥- زيارة الموتى.

ففى زيارتهم عبرة من حرم من المحاسبة فهم الآن لا يستطيعون محاسبة أنفسهم فقد طاروا الحياة فهم لا يعودون أما أنت فما زالت القرصة أمامك !!

٦- مجالس المحاسبة.

حضور مجالس العلم والذكر وتلاوة كتاب الله والدعاء من الطريق الوحيد لمحاسبة النفس فانتهز وجودك فيها فهى مجالس المحاسبة الحقيقية وابعد عن مجالس اللهو والغفلة لأنها تسيك محاسبة النفس .

٧- القيل هيذان المحاسبة.

حيث القلوب متيقظة والناس نيام والله يدنو من الأرواح ، وتصغر النفوس من النقائص بعيدا عما يشوش محاسبتها وعتابها

٨- حسن الظن بالله.

كلما قوى لى النفس حسن الظن بالله أسأت الظن بها، فإن لها من النقائص ما مله من الكمالات فلا تراها إلا عيوباً ولا تراها كمالاتاً.

إن كان هناك نقص في الثرائف يتدارك به حضور القلب والمداومة ، وإن كان في المتاعب فيتدارك بالتوبة والاستغفار.

١٠- حركة القلب و الجسد.

سأل حركة الجوارح ماذا أردت باليدين ، وماذا أردت بالرجلين ؟ ماذا أردت باللسان ؟ وتدارك غفلة القلب يكون بالذكر والإقبال على الله تعالى .

\*\*\*



## ٨. مخطو (مجاهدة) النفس

النفس من أعظم الأمانات بل هي أعظم من أمانة الأموال والأولاد، ولذلك أقسم الله بها في كتابه ولا يقسم الله إلا لعظيم، فقال تعالى ﴿وَتَقْسِرُوا مَوَائِدَ﴾ الشمس / ٧.

وتفصيل هذه الأمانة خسارة كبيرة لمن فرط فيها يوم القيامة يقول تعالى: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي حَسْبِ اللَّهِ إِنَّ تُكَلِّمُ لِمَنِ السَّاعِرِينَ﴾ الزمر / ٥٦. وحم الله الحنيف بن قيس كان يجرى إلى مصباح فيضع أحبه فيه ثم يقول: (يا حنيف ما حملك على ما صنعت يوم كذا ما حملك على ما صنعت يوم كذا).

❖ ولذلك سنحمل محاسبة النفس في خمس خطوات:

### الخطوة الأولى: المشاركة.

وتعني بمشارطة النفس مثل الشريك مع شريكه، فيضع أمامها شروط لإرشادها إلى الفلاح والربح، وموعده المشاركة في أول النهار.

### الخطوة الثانية: المرافقة.

وتعني بها ملاحقة النفس في حركاتها فمراقبة الطاعات بتوفر الإخلاص والمراقبة عند المعصية بالتوبة منها، ومراقبة في المباح بأداء الشكر والأدب مع الله تعالى.

### الخطوة الثالثة: المحاسبة بعد العمل.

وموعدها في آخر النهار، وهي مثل كشف الحساب اليومي، كما يفعل النجار مع شركائهم في نهاية البيع.

### الخطوة الرابعة: العقوبة.

وتعني بها جبر التفصير، وتصحيح الأخطاء التي ارتكبها، والعيوب التي أظهرتها بمعاقبتها حتى لا تعود إلى ذلك بمرورها.

### الخطوة الخامسة: المعاتبة.

ويعني بها توبيخ النفس ولومها ومعاتبتها على أفعاله حتى ترتدع وتتوقف عن غيرها وظلمها وشروها.

فما علينا بعد هذه الخطوات المراضحة (إلا أن تبدأ ولا تتولى لحظة، فاليوم الذي

يجر لا يعود، والموت أقرب لأحدنا من أنفسنا ونبهات قلوبنا:

إننا لنفسرح بالأيام نلقلعها

وككل يسوم يندس من الأجل

وهذا يدعونا لمعرفة درجات المحاسبة حتى نلقلعها بأمان.

\*\*\*

## ٩. ورجاء المحاسبة

ثلاث درجات للمحاسبة وثلاثة أساليب للتعامل معها:

**الدرجة الأولى: لم يأتك أم لم يهواك؟**

هذا هو السؤال الأول بإيجابه تكون قد طمعت الدرجة الأولى : وهو سؤال عن حلة الفعل وباعته وحاجيه ؟

- هل ما أعمل حظ عاجل من حظوظ الدنيا ؟
- هل هو غرض من أغراض الدنيا كحب مدح الناس ؟
- هل هو خوف من ذم الناس وذكرهم للمعيب ؟
- هل هو استجلاب محبوب عاجل أريده ؟
- هل هو دفع مكروه عاجل لا أطلبه ؟
- أم الباعث والدافع والداعي :
- القيام بحق العبودية .
- وطلب التوجه إلى الله .
- وطلب التقرب إلى الله .
- وطلب ابتغاء الوسيلة إلى الله .
- وملخص هذه الدرجة في سؤال واحد

هل الفعل لم يأتك

أم لحظك وهواك ؟

**الخطوة الثانية: ملخص ومنايع أم لا ؟**

وهذا هو السؤال الثاني : هل ما أقوم به فيه تحقيق الإخلاص وأن العمل لوجه الله تعالى ، وموافق لسنة النبي ﷺ وفيه تحقيق المناجاة للسنة وقيل النبي ﷺ أم لا ؟  
الخطوة الثالثة: التصديق.

وفي هذه الخطوة السؤال المطروح إيجابته من عاجل كياتك وحنايا قلبك في أن تكون صادقاً في المحاسبة وتعتمد المحاسبة الصادقة على ثلاثة أسس:

- الاستشارة بنور الحكمة .
- سوء الظن بالنفس .

### ■ تمييز النعمة من النعمة.

وأمام هذه الدرجات الثلاثة ، كان للعلماء أساليب في محاسبة النفس ، تحاول التعرف عليها ، لأنها غير معين من خبراء بالنفس وعلاجها ، ووصف الهواء الناجح لأمراتها:

#### الأسلوب الأول: الساعات ثلاث:

قالوا :

##### ١- ساعة مضت:

( لا يدري العبد كيف انقضت في مشقة أو راحة ) ولذا فالواجب أن يقف مع نفسه لحظة ، لما مر لا يعود .

##### ٢- ساعة راهنة:

بمجاهدة فيها نفسه وراقبها وبعابها ومحاسنها ، وهذه الساعة نحن فيها لعملام الانتظار ، وهي ساعة المجاهدة والتربية فلماذا نفوتها ؟

##### ٣- ساعة مستقبلية:

لم تأت بعد لا يدري العبد يعيش إليها أم لا يعيش ، ولا يدري ما يقضي الله فيها ، مما يحتم عليه الاستعداد لها والتهيئة .

#### الأسلوب الثاني : المؤمن ابن وقته.

هذا وقتك الذي أنت فيه ، هذه أنفاسك لو نطقت لقالت: أنت في فرصة الآن ، انتهزها اغتنمها قبل أن ترحل منك ، نفس كل نفس أقداو من الله جديدة تقضي عليها ، فلماذا لا تكون هذه آخر أنفاسك ؟ لماذا لا تكون هذه اللحظة آخر لحظاتك ؟

فليكن لك في كل وقت غنيمة .

وليكن لك مع كل لحظة فرصة .

وليكن لك مع كل نفس زاد .

وبخلاصة هذا الأسلوب بدون تعليق :

( لا بد أن تكون على وجه ، لا تتركه أن يدركك الموت وأنت على تلك الحال ) .

#### الأسلوب الثالث: معرفة قيمة النفس.

بالأمل في المحاسبة نجد أنها لا تخرج عن أمرين :

نظر العبد في حق الله عليه أولاً ... ثم نظره في المقام به كما ينبغي ثانياً ، ومن هنا يشعرف على قيمة نفسه ، بقول يونس بن عبيد: ( إنى لأجد منة محصلة من أعمال

الخير ما أعلم أن هي نفس منها واحدة).  
 وكان محمد بن واسع يتبع نفس الأسلوب يقول: (لو كان للذوب ربح ما قدر  
 أحد يجلس إلى).  
 أما جزاء الذين نسوا أنفسهم فظاهر وواضح فقد تناقلت وكالات الأنباء خبر  
 امرأة كانت تدرس الزنا مباشرة على الت، فجاءها الموت، ورأها الملائكة بالصوت  
 والصورة على مستوى العالم أجمع، وكانت رسالة قوية من الله للمشر للعبارة  
 والدرس.

#### الأسلوب الرابع: الوقت هو الحياة.

وصاحب هذا الأسلوب هو الإمام ابن القيم يقول: «وقت الإنسان هو عمره في  
 الحقيقة وهو يمر من الصباح فما كان لله وبالله فهو حياته وعمره. وغير ذلك ليس  
 محسوباً من حياته».  
 فعمرك الحقيقي وحياتك الحقيقية، هي تلك اللحظات التي حاسبت فيها نفسك  
 فكانت لله وبالله ومع الله.  
 يقول الشاعر:

تزود من النسيوى فإنك لا تدري  
 إن جنّ ليلٌ هل تعبش إلى الفجر  
 فكم من سليم مات من غير علة  
 وكم من سفيم عاش حياً من الدهر  
 وكم من فتى يمس ويصبح آمناً  
 ولقد تسبعت أكفاسه وهو لا يدري



## ١٠. وصفات المحاسبة

النفس خطرهما عظيم : ﴿ وَمَا أَفْرَأْتُ نَفْسِي إِذْ الْفَتْحُ لَأَثَارَةٍ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِذْ رَجَعْتُ عَنْهُمْ ﴾ (يوسف : ٥٣) .

فلا بد من أن تستوقفها عند حدتها، ولم يتركها خبيراء المحاسبة بلا مواجهة ، بل هناك وصفان رائعتان لمحاسبة النفس وهما :

### الوصفة الأولى : ليل ونهار

وهي وصفة يقدمها الإمام العلامة الماوردي ، وقد أطلقنا عليها ( ليل ونهار ) وهي ليست مطلع ألحنية شبابية ، ولكنها أخطر مما يتخلى به المخوف ، يقول الماوردي : ( أن يتصفح الإنسان لى ليله . ما صدر من أعمال نهاره . فإن كان محموداً أمضاه وأتيه بها شاكلاً وعاهاه . وإن كان مذموماً استدركه . وانتهى عن مثله في المستقبل ) .

فصفحة النهار تشغله طيلة الليل يرى فيها أفعاله ، فما كان منها محموداً حميداً طيباً أمضاه ، ثم وضع برنامجاً لصفحة جديدة ، فيها كسل صالح وطلب ويطوى صفحة العمل المذموم إما باستدراكه أو الانتهاء عن فعله والابتعاد بمثله مستقبلاً .

وإن احتفظ الناس بأجندات لتدوين المالبات أو الذكريات أو المواعيد ، فالأولى هذه الأجندة ، أجندة الليل والنهار ، التي يقدمها لنا الإمام الماوردي .

### الوصفة الثانية : ماله وما على ماله وما عليه .

وهذه الوصفة يقدمها خبير المحاسبة الإمام ابن القيم ، وهي وصفة لا يقدر عليها إلا القوي الإرادة ، الغير عابء بالدنيا وما فيها فيقول : « هي التمييز بين ماله وما عليه ( يقصد العبد ) فيستصحب ماله ويؤدي ما عليه ، لأنه مسافر سفر من لا يعود .

لشروط أداء هذه الوصفة أن يكون العبد مسافراً سفر من لا يعود ، لا يتعلق قلبه بشئ من الدنيا ، تركها ورحل عنها ، سلم متعلقاته ولا يعود ، وذلك حق محقق هذه الكيفية التي وصفها ابن القيم ( يستصحب حاله ) فيفعله .



## ١١. نحمدرك في محاسبة النفس

### ١- اليأس من العلاج:

هو الذنب الأكبر الذي يقع فيه الإنسان وهو يحاول محاسبة نفسه من أي ذنب ، ومقصوده كذنب: هو اليأس من رحمة الله تعالى ، لذلك شعور الإنسان بأنه نقطة في الزمان وليس بنقطة آخر الزمان ، فإن ذلك يعطيه الأمل ويمتحنه الثقة في التحديد والبعد من العسر ، ويتجاوز بذلك كل المحن والأزمات .

### ٢- بحسن الظن بالنفس:

ويطلق عليه علماء تربية النفوس: الرضا عن النفس ، بمعنى الانسباق وراء رغباتها ، وعدم الاعتداد برغائبها ، والالتقياد وراء شهواتها طائفاً بها بحبراً ، فإذا بها تدفعه إلى الهالك أو ما ذلك إلا بحسن الظن بها ، ويظهر ذلك في كل تصرفات الإنسان ، وهذا يحتاج إلى صبر وإرادة قوية .

### ٣- هوى النفس:

بمعنى عدم معرفة أسباب الانسباق وراء النفس ، وبالتالي فإن أصعب الأمراض هو هوى النفس حتى أطلق عليه علماء التربية : الداء العضال ، أى الذى لا علاج له ، وبالتالي تصعب العلاجات لأمراض النفوس الأخرى ، أو الشخص من العيوب : وهوى النفس في حقيقته تمحدي للفطرة والعقل في الإنسان ، فالطائم يتحدى عقله ويظلم لينسج ضد المحسوس ، ويسلط لينخطى الخوف ولو من أقل الناس ، وفي عصرنا أصبح السحر الذى يبرق أمام النفس : ( المال والحلق الذميم والذهب ) ولذلك فالواجب ، أن يتصرف نظر العاقل إلى النظر بعقله وليس بعينه إلى المخريات والشهوات ، فيراها على حقيقتها فتنة ، ولسان حالها يقول ليل ونهار إنما نحن فتنة فلا تكفر ) ولكن مقاومة هذا الوضوح بالغمضة ، يحمل الإنسان ببناء على معرفة عيوبه ، ويتحكم فيه هواه ، ولن ينظر هذه النظرة الحقيقية إلا بمعرفة ذاته أولاً ، ومماجة نفسه ثانياً ، وأول بأول ، حتى يبقى نفسه من هواها ، وأما من حالف مقام ربه ونهى النفس عن الشهوة (١) فإن الجنة هي المأوى (٢) في النزاعات / ٤١ : ٤٠ .

والطريق إلى ذلك بثلاث درجات:

- صدق النية في كل عمل .
- محاسبة النفس عن كل خاطر أو قول أو عمل .
- المبادأة بالتوبة عن كل تقصير وذنب ومعصية .

## ١٢. خمس أفكار عقلية لمجانبية النفس

### الفكرة الأولى: فكرة الحوار (المخالطة)

جاء رجل إلى عمر يشكو وهو مشغول فقال له : « أتتركون الخليفة حين يكون فارغاً حتى إذا انشغل بأمر المسلمين أتيسره » .

وهيرة مالدو

فانصرف الرجل حزينا

فتذكر عمر أنه قلعه فعدا به

وأعطاه الدرة وقال له : « أخبرتني كما ضربتك » .

فأبى الرجل ، ثم انصرف عمو إلى منزله ثم جلس يقول لنفسه :

يا ابن الخطايا

كنت وضيئا فرفعك الله

وهالاً فهلك الله

وضعيفا فأعزك الله

وجعلك خليفة فأبى رجل يستعين بك على دفع الظلم فظلمته ١٩

ما تقول لربك هذا إذا أتيت ؟

وظل يحاسب نفسه حتى أشفق الناس عليه .

ومرت بنا نماذج إبراهيم التيمي والأحف بن قيس وتوبة ابن الصمة ، وكلها

تندرج تحت هذه الفكرة .

•• ملخص الفكرة ••

حوار مع النفس ومخاطبتها بالحقائق ، وعرض عيوبها ، وتدور حول أمرين :

تقصير النفس وكمال الرب وحاجتنا إلى مغفرته .

### الفكرة الثانية: فكرة الجنبية

أول الريال أو الدرهم أو الفلس أو الدولار أو الجيوش ، الفكرة يمكن تنفيذها بأي

عملة محلية أو دولية وأصل الفكرة من الإمام أبي حامد الغزالي لقوله : « لو رمى



العبد بكل معصية حجراً في داره لا مثلاً لداره في مدة يسيرة قريبة من عمره، ولكن يشاهد في حنطة المعاصي والمكاسن يحفظان عليه ذلك : ﴿ ... أحصد الله ونسوة ... ﴾ المجادلة / ٦ .

« ملخص الفكرة :

صندوق صغير ، يضع فيه عند كل ذنب (جنيه) أو أي عمله متاحة ثم كل شهر يفتحه ويصدق به .

### الفكرة الثالثة : فكرة الآن لحظة بلحظة

المؤمن حينما يودع مرحلة من عمره ويستقل أخرى ، فهو في حاجة ماسة لمحااسبة نفسه وتقييم مساره ، يقول ابن القيم : ( هلاك القلب من إهمال محاسبة النفس ومن موافقتها واتباع هواها ) .

فالمعجز من أتبع نفسه هواها ، ولمن على الله الأمان .

يقول الحسن : ( إن العبد لا يزال بخير ما كان له واعظ من نفسه ، وكانت المحاسبة من همه ) .

تذكر أن ثباتك في محاسبة النفس ، وأنت تودع ما قبل اللحظة ( الآن ) وتستقل لحظة جديدة ، فالآن أنت تعلن عن فوزك بمعاملة ذاتك بالمحاسبة .

### الفكرة الرابعة : فكرة الربح

كان من دعاء النبي ﷺ : « اللهم اجعل الحياة زيادة لي في كل خير » .

وفي البخاري قول النبي ﷺ : « أعتذر الله إلى امرئ آخر أجله حتى بلغ ستين سنة » .

قال النووي معناه : « لم يترك علواً إذ أمهله هذه المدة » .

فالعمر أيام وليالي تزيد المتقين خيراً ومسارة في الخيرات : ﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنّوا عنها السّموات والأرض أعدت للمتقين ﴾ ﴿ آل عمران / ١٣٣ » .

« ملخص الفكرة :

فالمسارعة تعني المسارعة إلى الجنة ، والحصول على الربح الحقيقي : ﴿ ... هل أدلكم »

على تجارة تصحبكم من غير أن يضرّكم ﴾ ﴿ الصف / ١٠ » .

فالربح دافع قوي لمحاسبة النفس .

### الفكرة الخامسة: فكرة الحق

يقول تعالى ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْوَ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ اسْتَخْلَفُوا بِهِنَّ ﴾  
وأيضا ﴿ وَالْأَحْزَابِ: ٥٨ ﴾ .

لهي وقفة مع النفس ، لا تتحقق عليها التوبة إلا إذا أرسحت الحق إلى عاصيه ،  
فمن غلبته من الناس ، ولذلك فالمحاسبة اليومية تعنى أمرين بهذه الفكرة تصحيح  
المحبوب الداخلي و الانطلاق إلى الناس ترجع إليهم حقهم ، من أي أذى لحق بهم  
منك ، فالتحذير من الله يؤكد بقوله ﴿ فَقَدْ اسْتَخْلَفُوا بِهِنَّ ﴾ وأيضا ﴿

مُخْتَصِمُو الْفِكْرَةِ ﴾

المحاسبة الإيجابية في الانطلاق إلى المجتمع لمعالجته من المعاملات السيئة .

\*\*\*

المقدمة	الموضوع	الصفحة
٥	■ إهداء عام .	
٦	■ إهداء خاص .	
٧	■ مقدمة .	
٨	■ بين يدي الكتاب .	
	● أولاً : قصة النفوس	
	● المتفكرون .	
	أولاً : البصيرة	
١٤	١- الإيمان بالغيب .	
١٦	٢- اليقين بالآخرة .	
	ثانياً : الطاعة	
١٧	١- إقامة الصلاة .	
١٨	٢- الجود .	
	ثالثاً : السماحة .	
١٩	وبعد .	
	● الكافرون	
٢٢	■ فرعون .	
٢٢	■ أبرجهم .	
	● المنافقون	
	خصائص هذه النفوس .	
٢٩	١- كاذبون .	
٢٦	٢- خداع الرأي .	
٢٦	٣- زعم الإصلاح .	
٢٧	٤- رفض الإيمان .	
٢٧	٥- العمالة .	
٢٧	٦- مستكبرون .	
	● نفوس منافقة	
٢٨	عبدالله بن أبي بن سلول .	

الموضوع	تاريخ القورس	الصفحة
---------	--------------	--------

## المستقيمون

### صفات النفوس المستقيمة

- ٣٠ - لو كان الإيمان والدعوة إليه -
- ٣١ - ثلثاً، الزهد في المال وإيتار ما عند الله -
- ٣٢ - ثلثاً، التواضع وتضجير طاقات العاملين -
- ٣٣ - رابعاً، الرجوع الدائم إلى الله -

### المنحرفون

#### قارون وملاحه

- ٣٤ - ١- نفى عليهم -
- ٣٤ - ٢- وأثناء من الكتوز -
- ٣٤ - ٣- إذ قال له قومه لا تفرح -
- ٣٥ - ٤- إنما أوتيته على علم عندي -

### الجاهلون

#### صفات الجاهدين

- ٣٦ - ١- الإيمان -
- ٣٦ - ٢- الصديق -
- ٣٦ - ٣- البطونة -
- ٣٧ - ٤- الثبات -
- ٣٧ - رجال -
- ٣٨ - وبقي أمر -

### المتخاذلون

#### صفات المتخاذلين

- ٤١ - ١- يشيرون بالإشاعات -
- ٤١ - ٢- ينادون بالانحساب -
- ٤٢ - ٣- يصحرون بالعطلة -
- ٤٢ - ٤- يتقصرون العهد -
- ٤٢ - ٥- يهزقون الحركة الإسلامية -

**المفهوم** **تابم النفوس** **المفيدة**

• الدعاء إلى الله

بين الجهاد و التغافل

• ثلاثة صفات لابد أن تتوفر في نفوس الدعاء :

١- علم الهمة .

٢- صفاء القلب .

٣- صحة السلوك .

• ثلاثة صفات لابد أن تختص من نفوس الدعاء :

١- التوقف في الطريق .

٢- طلب الشهرة .

٣- الإعلان وعدم الخفاء .

البدريون .

٤٨ .

٤٩ . نعم الله على البدريين .

البدريون .

٤٩ . ١- معاذ بن الجهم .

٥٠ . ٢- سعيد بن عيسى .

٥٠ . ٣- عمير بن أبي وقاص .

• نفوس عند الفتح .

نفوس مغلفة .

٥٢ . أبو سفيان .

٥٢ . نفوس تخطئ .

٥٣ . نفوس تأتي بالفخر .

٥٤ . نفوس تنسى .

٥٤ . رسول كريم .

٥٤ . نفوس تأتي بالتلطف .

٥٥ . وبعد الفتح .

الصفحة	تابع الفهرس	الموضوع
٥٦		• الثابتون عند الفتن
٥٦		عند الفتنة .
٥٦		نفوس خاقلة راشدة .
		الثابتون
٥٧		١- سعد بن أبي وقاص .
٥٨		٢- محمد بن مسلمة الأنصاري .
٥٨		٣- عبد الله بن عمر بن الخطاب .
		• نفوس عند الشهوة .
٦١		خطر الشهوة .
٦٢		سبل النجاة من الشهوة .
٦٣		عباد الرحمن .
٦٤		نفوس عند الشهوة .
		• نفوس عند المعصية .
٦٧		نفوس تخطأ ورب غفور .
٦٨		بين الطاعة والمعصية .
٦٨		موقف العبد المخطئ .
		• نفوس عند التوبة .
٧٢		وقفات مع التوبة .
٧٤		وأخيراً .
٧٥		التائبون
		نداء إلى النفوس .
		• • ثانياً، تربية النفوس
٨٢		١- تربية النفوس .
٨٤		٢- نصفية النفوس .
٨٦		٣- دواء النفوس .
٨٨		٤- عيوب النفوس .
٩٠		٥- مجاهدة النفوس .

المقدمة	تأريخ الفهرس	الموضوع
٩٢		٦- عادات النفوس .
٩٤		٧- ميزان النفوس .
٩٦		٨- حركات النفوس .
٩٨		٩- ميادين النفوس .
١٠٠		١٠- تواضع النفوس .
١٠٢		١١- جزاء النفوس .
١٠٤		١٢- طريقك إلى جنات عدن .
١٠٦		١٣- أمل النفوس .
١٠٨		١٤- وأخيراً
		<b>** ثالثاً ، محاسبة النفس</b>
١١٠		كيف نحاسب نفسك ؟
١١٠		١- أنواع المحاسبة .
١١٢		٢- منافع محاسبة النفس .
١١٣		٣- مقت النفوس على ذات الله .
١١٤		٤- أضرار ترك المحاسبة .
١١٦		٥- محاسبة النفس في القرآن الكريم .
١١٧		٦- المحاسبة والتقوى .
١١٩		٧- الأسباب العشرة المعينة على المحاسبة .
١٢١		٨- خطوات محاسبة النفس .
١٢٣		٩- درجات المحاسبة .
١٢٦		١٠- وصفات للمحاسبة .
١٢٧		١١- تحذيرات في محاسبة النفس .
١٢٨		١٢- خمس أفكار عملية لمحاسبة النفس .
١٣١		<b>* الفهرس *</b>



- ١- الدعوة المؤثرة .
- ٢- القيادة المؤثرة .
- ٣- المشاعر المؤثرة .
- ٤- فقه النفوس .
- ٥- فقه القلوب .
- ٦- فقه السالكين .
- ٧- دليل المسافر .
- ٨- الجنة والنار رأى العين .
- ٩- الغزوات في ظلال القرآن .
- ١٠- العراق إلى أين ؟ .
- ١١- فلسطين تحت الحصار .
- ١٢- ورد القلوب شرح ورد الرابطة .
- ١٣- الحب وروح الحياة الزوجية .
- ١٤- حياة القلوب .
- ١٥- حياة الأرواح .
- ١٦- أيام وليالي رمضان .
- ١٧- أمير الشهداء أحمد ياسين .
- ١٨- الطبيب الشهيد عبيد العزيز الرنتيسي .
- ١٩- تربية النفوس .
- ٢٠- الزوجان في مملكة الحياة الزوجية .
- ٢١- فقه الحركة في المجتمع .
- ٢٢- كيف تنجح في الحياة ؟
- ٢٣- الزوج رجل والزوجة امرأة .
- ٢٤- يا حبيب يا رسول الله .
- ٢٥- حقق حلمك في الحياة .
- ٢٦- مجتمع آمن مستقر .

- دار التوزيع .  
دار التوزيع  
دار التوزيع  
دار الدعوة  
دار ابن الوليد  
دار التوزيع  
دار المدائن  
دار الدعوة  
دار الدعوة  
دار المدائن  
دار المدائن  
دار التوزيع  
دار أم القسري  
دار المدائن  
دار المدائن  
دار المدائن  
دار المدائن  
دار أم القسري  
دار الدعوة  
المدائن - الفنار  
المدائن - الفنار  
المدائن - لؤلؤة  
دار المدائن  
دار الدعوة

الاتصال بالمؤلف : ٠١٢٣٢١٧١٤٥

المدونة : gmady-maktoobblog.com

الاميل : gamalmady@yahoo.com